حقيقة الامامة في مدرسة العرفاء

العارف الشيخ
عبدالصمد الهمداني
(المتوفي ١٢١٦ هـ)

مركز بقية الله الاعظم(ع) للدراسات والنشر

محتويات
حقيقة الإمامة

- مقدمة الناشر 7
- حول المؤلف 9
- النبوة والولاية المطلقة والمقيدة 11
- تعيين مقام شخص النبي والولي 15
- الرسالة، العزم، الولاية 18
- آيات الولاية 23
- التكامل التدريجي للنبوة والولاية 31
- معاني الوحي، الالهام 34
- ظهور باطن الولاية 37
- مقام الانسان الكامل 39
- وحدة حقيقة أمير المؤمنين مع النبي 42
- في أفضلية الأئمة 46

- منكر فضل الامام ـــــ 57
- فضائل الأئمة في الاخبار ـــــ 60
- حديث أمير المؤمنين حول معرفته بالنورانية ـــــ 66
- علة إحاطة علم الأئمة بجميع الحوادث ـــــ 69
- الإحاطة العلمية للأئمة ـــــ 73
- حضور الأئمة عند المحتضر ـــــ 81
- تحقيق في التنزيه والتشبيه ـــــ 89
- الأئمة عالم الجبروت ـــــ 92
- حديث الغمامة ـــــ 94
- وصف الامام بلسان أمير المؤمنين ـــــ 102
- تفويض الامور التكوينية والتشريعية ـــــ 115
- تفويض أمور القيامة إلى أمير المؤمنين ـــــ 119
- هوامش النصوص والمصادر ـــــ 129

مقدمة الناشر

الكتاب الذي نقدمه للقراء الاعزاء تحت عنوان حقيقة الامامة في مدرسة العرفاء هو جزء من الكتاب الكبير للعارف الشهيد الشيخ عبدالصمد الهمداني المعروف بعنوان بحر المعارف. وقد انتزعنا منه هذا المبحث العلمي الذي يدور حول الامامة والولاية نظراً لأهميته ولانه يسلط الضوء على منهج العرفاء في تناول هذه القضية المهمة.

فقد اشتهر بين الناس ان الامامة والولاية ينحصر معناها في الجانب السياسي الاداري أو ما يعبّر عنه بالقيادة والزعامة. وليس هذا المعنى الا مرتبة من مراتب حقيقة الامامة. ويبقى للامامة معنى الولاية التشريعية والولاية التكوينية التي هي باطن وحقيقة وسر الامامة.

امتلأت الكتب الفكرية العقائدية بالمباحث المتعلقة بالبعد الاول للامامة حيث استفاضت في إثبات أحقية الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) في الخلافة وقيادة المجتمع الاسلامي، ولكنها لم تتعرض إلا قليلاً للأبعاد الاخرى، وخصوصاً الولاية التكوينية بالرغم من وجود مئات الاحاديث والنصوص الشريفة حول هذا المطلب كما سيلاحظ القارىء المحترم.

ولعل السبب الاول الذي دفعنا لاصدار هذا البحث العميق مفرداً يعود إلى هذه النقطة بالذات. فقد حوى من الاحاديث ما ينقع غليل

السائلين بالاضافة إلى التعليقات والشروحات القيمة التي جاد بها قلم هذا العارف الفذ، الذي استطاع دفع مجموعة من الشبهات والاشكالات التي يحذر بسببها البعض من الدخول إلى هذا البحر العميق.

يبقى ان نشير إلى ان هذا الكتاب قد ورد في النص الاصلي من بحر المعارف باللغتين الفارسية والعربية حيث ينتقل الكاتب من لغة إلى أخرى دون ترجمة ما كتب وكأنه يكتب بلغة واحدة. لهذا قام مترجمنا العزيز السيد عباس نورالدين بتعريب النصوص الفارسية وتحرير الكتاب ليخرج بهذه الحلة المفيدة.

الناشر

حول المؤلف

الشيخ عبدالصمد الهمداني البلدة الكربلائي المسكن والمدفن. من أفاضل علماء الامامية أوائل القرن الثالث عشر الهجري، ومن تلامذة العلامة البهبهاني المعروف. كان جامعاً للمعقول والمنقول، فقيهاً محدثاً وحكيماً متكلماً محققاً مدققاً عابداً زاهداً عارفاً. جمع الكثير من العلوم والفنون. وكان مشربه حسناً وخالياً من الافراط والتفريط. وجاء في «رياض العارفين» ان الشيخ عبدالصمد كان من أكابر المحققين والمحدثين.

من مؤلفاته:

١ ـ بحر المعارف في العرفان والتصوف وقد طبع في بومباي.

٢ ـ الكتاب الكبير في اللغة.

٣ ـ كتاب آخر في ترتيب أبواب الفقه، يجمع الكثير من المستطرفات ويقال انه شرح للمختصر النافع للمحقق الحلي.

توفي يوم الاربعاء في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٢١٦ هـ عندما هجم الوهابيون بقيادة سعود بن عبدالعزيز الحنبلي على كربلاء وقتلوا فيها جمعاً من العلماء العظام ومنهم الشيخ الشهيد. وكان الشيخ عبدالصمد يردد انه سيرى عما قريب لحيته مخضبة بدمه. وفي تلك السنة هُدمت مقابر الأئمة في البقيع وحدثت الفجائع الكبرى.

نقلاً عن ريحانة الادب ج٦/ ص ٣٧٧

النبوة والولاية المطلقة والمقيدة

أيها العزيز! إعلم أن الإنسان لا يخرج في المعرفة والمغالطات عن أربعة أقسام: القسم الأول في علم التوحيد، وفي المقابل إنكار التوحيد، وقد وقعت الدهرية والمعطلة والمشبهة والملاحدة فيها بالغلط. والقسم الآخر في الأديان، وفي مقابله عدم معرفة الأنبياء عليهم السلام، حيث وقعت النصارى واليهود في الأخطاء فيها. والقسم الثالث اختلاف المذاهب وذلك بسبب عدم معرفة إمام الزمان. والقسم الرابع اختلاف اللفظ داخل كل فرقة وذلك بسبب عدم معرفة المصطلحات.

وقد أثبت هذا الضعيف قبل.هذا أن الأئمة الإثني عشر عليهم السلام هم خلفاء النبي بالحق. والاختلاف في القسم الرابع لا يضر، لأن الاشتباه في الموضوع. والقسم الأول - إن شاء الله - يأتي بعد المرتبة الرابعة من الحكمة العملية الأربعة في غاية البسط والإيضاح. وبعد إثبات القسم الثالث يثبت القسم الثاني. والآن هذا الضعيف سيبين النبوة المطلقة والولاية المطلقة، والنبوة الخاصة والولاية الخاصة بالتفصيل إن شاء الله. بعد الاستمداد من باطن الولاية. حتى يكمل الاعتقاد في هذا الشأن.

روى في الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إن من الملائكة الذين في السماء الدنيا ليطلعون إلى الواحد والاثنين والثلاثة وهم يذكرون فضل آل محمد صلى الله عليهم، فيقولون: ألا ترون هؤلاء

في قلتهم وكثرة عدوهم يصفون فضل آل محمد صلى الله عليهم! فتقول الطائفة الأخرى: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[1].

فيجب إذن أن يعلم الناس مقامهم ودرجتهم العالية بشكل صحيح وخصوصاً السالك منهم حيث يصل إليه فيض السلوك من باطن النبوة إلى الولاية، ومنها إلى باطن الشيخ، ومن باطن الشيخ إلى باطن السالك: «من القلب إلى القلب روزنه وإن تباعدت الأمكنة».

وفي «المقصد الأقصى» جاء: «حيث سمعت عن عظمة الجوهر الأول فالآن إعلم أن رسول الله ﷺ قال: إن الجوهر الأول روحي، أول ما خلق الله روحي[2]، وفي غيره جاء: أول ما خلق الله نوري[3]. ولأن الجوهر الأول روح محمد ﷺ فمحمد ﷺ قبل أن جاء إلى هذا العالم كان نبياً. وعن هذا المعنى أخبر: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»[4]. وعندما يخرج من هذا العالم، يكون نبياً، وإليه أشار قائلاً: لا نبي بعدي[5].

وكلما ذكرتُ صفات محمد ﷺ العظيمة لا أكون قد ذكرت واحدة من ألف. وإذا ذكرت هذه الصفة العظيمة للجوهر الأول لا أكون قد أشرت إلى واحدة من ألف. والجوهر الأول يقوم بأمرين: الأول أنه يقبل الفيض من الله، والثاني أنه يوصله إلى خلقه. وإذا قيل أن محمداً ﷺ يقوم بأمرين: أنه يستقبل الفيض من الله تعالى ويوصله إلى خلقه، فهو صحيح، لأنه هو الجوهر الأول.

وإذا علمت هذه المقدمات، فاعلم أن الجهة التي تستقبل الفيض في الجوهر الأول من الله تعالى هي الولاية، وإن تلك الجهة التي تعطي للناس تدعى النبوة. فالولاية باطن النبوة، والنبوة ظاهرها، وهاتان هما صفة محمد ﷺ».

وإذا علمت هذا، فاعلم أن الإنسان الكامل إما نبي أو ولي. والنبوة إما مطلقة أو مقيدة. وكذلك الولاية مطلقة أو مقيدة. فالنبوة المطلقة هي النبوة الحقيقية الحاصلة في الأزل، الباقية إلى الأبد. وهي اطلاع النبي المخصوص بها على استعداد جميع الموجودات بحسب ذواتها وماهياتها وإعطاء كل ذي حق حقه الذي يطلبه بلسان استعداده، من حيث أنه الإنباء الذاتي والتعليم الحقيقي الأزلي المسمى بالربوبية العظيمة والسلطنة الكبرى.

ويسمى صاحب هذا المقام «الخليفة الأعظم» و «قطب الأقطاب» و «الإنسان الكبير» و «آدم الحقيقي»، ويعبرون عنه بالقلم الأعلى والعقل الأول والروح الأعظم. وإلى هذا المعنى إشارة في «أول ما خلق الله نوري»[٦] و «خلق الله آدم على صورته»، وكذلك «من رآني فقد رأى الحق»[٧]، وغير ذلك من الأخبار الواردة فيه. وإليه أشار المحققون في اصطلاحهم بعين الله وعين العالم، بقولهم: عين الله هو الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى.

وتستند جميع العلوم والأعمال إلى هذا الإنسان الكامل، وكذلك تنتهي إليه جميع المقامات والمراتب. سواء كان هذا الإنسان الكامل رسولاً أم وصياً، أو كان نبياً أم ولياً، وباطن هذه النبوة المطلقة هي الولاية المطلقة. فالولاية المطلقة عبارة عن حصول جميع هذه الكمالات بحسب الباطن في الأزل، وبقاؤها إلى الأبد. ومرجع هذا المعنى إلى فناء العبد في الحق، وبقاؤه ببقاء الحق. وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «أنا وعلي من نور واحد»[٨] و «خلق الله روحي وروح علي بن أبي طالب عليه السلام قبل أن يخلق الخلق بألفي عام[٩]، على اختلاف الروايات، وسيجيء تفصيلها إن شاء الله. وإن الله بعث علياً مع كل نبي سراً ومعي جهراً. وقول علي عليه السلام: «وكنتُ ولياً وآدم بين الماء والطين»[١٠].

وفي تفسير علي بن ابراهيم عند قوله تعالى: «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون»(١١). إن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام. لأن هذه الشروط شروط الإيمان وصفات الكمال، وهي لا توجد إلا فيه وفي ذريته الطيبين عليهم السلام. وبيان ذلك: أما الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين فظاهر، لأنه أول المؤمنين وأمير المؤمنين وآدم بين الماء والطين.

وفي «منهاج الكرامة» في قوله تعالى: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم»(١٢) من كتاب «الفردوس» لابن شيرويه يرفعه عن حذيفة اليماني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو يعلم الناس متى سُمي علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله، سُمي أمير المؤمنين وآدم بين الروح والجسد. قال الله عز وجل: وإذ أخذ ربك من بني آدم ـ الآية، قالت الملائكة: بلى، فقال تبارك وتعالى: أنا ربكم ومحمد نبيكم، وعلي أميركم(١٣).

وفي «تأويل الآيات» في سورة الواقعة، عن علي عليه السلام: ألا إني أخو رسول الله وصدّيقه الأول، وآدم بين الروح والجسد(١٤).

والنبوة المقيدة إخبار عن الحقائق الإلهية، أي معرفة ذات الحق تعالى وأسمائه وصفاته وكماله وأحكامه، فإن ضم إليه تبليغ الأحكام والتأديب بالأخلاق والتعليم (بالحكمة) والقيام بالسياسة فهو النبوة التشريعية، ويختص بالرسالة.

تعيين مقام شخص النبي والولي المطلق والمقيد

واعلم أن الوجود دائر على ظاهر وباطن، فعبّر عنهما بالأول والآخر، والأول النزول من الحضرة الأحدية إلى حضرة الكثرة الخلقية. والآخر هو العروج تدريجاً إلى ما نزل منه، ويسمى هذا الوجود بمقتضى اسمي الظاهر والباطن في الإنسان الكبير والصغير وجوداً وإيجاداً، وفي العقل والنفس علماً وكمالاً، وفي الروح والقلب كشفاً وحالاً. وليس في الخارج غيرهما.

فالعقل (الكلي) حقيقة النبي المطلق خاتم الأنبياء والرسل، والنفس الكلية حقيقة الولي المطلق خاتم الأولياء والأوصياء، ويشهد لهما ما تقدم من الأخبار: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، وكنت ولياً وآدم بين الماء والطين.

ومعناهما أنهما قالا: كنا نبياً وولياً بالفعل دون القوة، كالانبياء والأولياء، لأنهما لو كانا نبياً وولياً بالقوة ما قالا هذا القول على سبيل الافتخار والشرف على غيرهما. وتحقيقه أن النبي المطلق كان ينبىء ويخبر العقول والنفوس والروحانيات كلها من الملائكة وغيرهم مما يجب عليه أن ينبئهم من الله من معرفة الله ومعرفة صفاته وأسمائه وأفعاله، ومعرفة الموجودات والمخلوقات على قدر قابلياتهم واستعداداتهم، كما هو معلوم من قصة آدم عليه السلام، بل وروح آدم كان يستفيض منه العلوم والمعارف وما منهم إلا وقد كان داعياً به قومه بالحق عن تبعيته، لقوله عليه السلام: آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة[١٥].

وكذلك الولي المطلق الذي هو خاتم الأولياء كان يفيض على

أرواحهم وأنفسهم ما شاء الله من العلوم والمعارف والحكم والحقائق. لأن نسبة الولي الخاتم إلى النبي الخاتم كنسبة النفس الكلي إلى العقل الكلي. فإن النفس من العقل استفاد كل ما استفاد. والإفادة والاستفادة بأمر الله وإشارته. ومثالهما في عالم الحس، الشمس والقمر، واستفاضة القمر من الشمس، وإفاضة الشمس له النور. وكذلك جميع النجوم والكواكب التي استفاضت من الشمس الأنوار بالقابلية أولاً. والكواكب كالخلائق من تلك الصورة، الذين يستفيضون من النبي والولي صورة ومعنى. ولهذا قال النبي ﷺ: أنا كالشمس، وعلي كالقمر، وأصحابي كالنجوم[١٦]. ومنه سمّى أصحابنا الولاية بالشمسية والقمرية، نظراً إلى الولاية الذاتية والولاية العارضية الكسبية، كنور الشمس ونور القمر. فإن نور الشمس ذاتي، ونور القمر عرضي، وكذلك النجوم. فالمراد بخاتم الأنبياء أنه الذي يكون رجوع جميع الأنبياء والرسل إليه، كما كان إلى محمد ﷺ، فإنه كان في عالم الأرواح مرجع جميع أرواح النبيين والمرسلين. وكذلك في عالم الأجسام وإن كان بعد الكل صورة، لقوله ﷺ: أنا أول الأنبياء خلقاً، وآخرهم بعثاً[١٧].

وكذلك خاتم الأولياء هو الذي رجوع جميع الأولياء والأوصياء إليه ظاهراً وباطناً. كما كان إلى علي عليه السلام. فإن كل من كان في ذلك العالم من جميع النفوس والأرواح ولياً كان أو وصياً رجوعه إليه. وكذلك في عالم الأجسام وإن كان بعد الكل. فإن نور الولاية لا ينفك عن نور النبوة. وكذلك الولي عن النبي كنور النفس عن نور العقل. فإن تصرفهما في العالم كتصرفهما في النفوس كلها. فإن النفس والعقل خليفتان لله في عالم الخلق.. والنبي والولي خليفتان لله في النفوس والأرواح. ولولا أن نور النبوة ونور الولاية متحدان مجتمعان أزلاً وأبداً،

ما قال النبي ﷺ: خلق الله روحي وروح علي عليه السلام من شيء واحد، ونوري ونوره واحد[18]، وإنه مني وأنا منه، ونفسه نفسي[19].

فكل من ينكر تقديم العالم الروحاني على العالم الجسماني، فليس بعاقل ولا عالم. فإنه قد نطق به القرآن والأخبار، وحكم به العلماء والحكماء. ولهذا قيل بتقديم العالم الروحاني على العالم الجسماني بستة أيام، كل يوم منها ألف سنة، وقيل بأربعين ألف سنة. لقوله تعالى: خمّرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً[20].

والمراد بالصباح أول نور الشمس الممزوج بظلمة الليل من النهار. كامتزاج نور آدم عليه السلام بآخر ظلمة الأجسام في حالة الإيجاد، ويوم القيامة عبارة عن الأول، وليلة القدر عبارة عن الثاني. وقيل بثلاثمائة ألف سنة، كل يوم ألف سنة. وقيل بثلاثمائة ألف سنة، كل يوم منها خمسين ألف سنة، وبالجملة ليس تقديم الروحانيات الإبداعيات على الجسمانيات والعنصريات بزمان ولا مكان، بل بالذات. والعنصريات والجسمانيات في زمان ومكان وشهور وسنين. ومن هذا قيل: إن الروحانيات والمجردات توجد من غير مادة ولا مدة، والجسمانيات والعنصريات توجد بمدة ومادة. وحينئذٍ نقول: كل موجود في عالم الغيب والشهادة والروحاني والجسماني، علمه وحياته وكمالاته بإفاضة العقل الأول والنفس الكلي على الدوام والاستمرار أولاً وأبداً. وكل نبي وكل رسول وكل ولي وكل وصي وكل ذي نفس علمه وحياته وكمالاته بإفادة النبي المطلق والولي المطلق على الدوام والاستمرار أزلاً وأبداً. ويسمى هذا المدد الوجودي: الإفاضة الحقيقية كما ذهب إليه أهل الله بالاتفاق.

الرسالة، العزم، الولاية

ثم اعلم أن البلاغ في نبوة التشريع إن كان في أمر فهي رسالة، وإن أيد الرسول بالتبليغ بالكتاب والسيف فعزم. فالعزم خصوص مرتبة في الرسالة، والرسالة خصوص مرتبة في النبوة، والنبوة خصوص مرتبة في الولاية، والولاية هي الفلك الأقصى المحيط بالكل، إذ لا عزم ولا رسالة ولا نبوة إلا بها، وبها تسري النبوة والرسالة في الكافة، إذ لا تأثير للممكن وصفاته إلا بما ظهر فيه من الحق وصفاته وأحكامه. ولهذا قيل: قوة النبوة بحسب قوة الولاية. فالولاية نعت إلهي، وفلك إحاطي، وكمال ذاتي، تبدو للحق من سواد غيبه المطلق بالحقيقة الكمالية السماوية أولاً، وتبدو للحقيقة من غيب هويته العليا التي هي أبطن البواطن بتجليه الأول العائد في حضرته الاشتمالية ومرتبة الأحدية الإحاطية من نفسه إلى نفسه قاضياً من حيث غلبة حكم هذا العود وسرايتهما في كل مرتبة إنسانية ونشأة ملكية بانطواء الصور ورسوم كثرتها في الحقائق.

وأما النبوة ففرّتها تبدو من سواد غيب الاسم الباطن من حيث خصوص مرتبة في الولاية. فتظهر في مطلع الاسم الظاهر المتجلي اولاً في حضرتي المدبر والمفصل، فيتنوع وينمو في الأشخاص القائمين بحدود مظهريتها جمعاً وتفصيلاً، حتى تنتهي بها صور الحقائق إلى ايها غايه الكمال واجمعها. وقس على ما ذكر الولاية المقيدة بكل من النبوة والولاية من حيث هي صفة إلهية مطلقة ومن حيث استنادها إلى الأنبياء والأولياء مقيدة، والمقيد مقوم بالمطلق، والمطلق ظاهر في المقيد. فنبوة الأنبياء كلها جزئيات النبوة المطلقة. وكذلك ولاية الأولياء

جزئيات الولاية المطلقة. وإلى معنى هذه الولاية المذكورة الإشارة في «العيون» عن الرضا عليه السلام: «الإمام لا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب. فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام، ويمكنه اختياره؟! هيهات، هيهات، هيهات، ضلت العقول وتاهت الحلوم»[٢١] الحديث.

وكل واحدة من هذه الأقسام الأربعة ختمية، أي مرتبة ليست فوقها مرتبة أخرى، ومقام لا نبي على ذلك المقام ولا ولي سوى الشخص المخصوص به، بل الكل يكون راجعاً إليه وإن تأخّر وجود طينة صاحبه فإنه بحقيقته موجود قبله. وخاتم النبوة المطلقة نبينا عليه السلام، وخاتم الولاية المطلقة أمير المؤمنين عليه السلام.

قال في «الفتوحات» في الفصل الثالث عشر في جواب محمد بن علي الترمذي: «الختم ختمان: ختم يختم الله به الولاية مطلقاً، وختم يختم به الولاية المحمدية. وأما ختم الولاية على الإطلاق فهو بعيسى عليه السلام، فهو الولي بالنبوة المطلقة في زمان هذه الأمة، وقد حيل بينه وبين نبوة التشريع والرسالة. فينزل في آخر الزمان وارثاً خاتماً لا ولي بعده... فكان أول هذا الأمر نبياً هو آدم عليه السلام وآخر نبي هو عيسى عليه السلام أعني نبوة الإختصاص فيكون له حشران: حشر معنا، وحشر مع الأنبياء والرسل. وأما خاتم الولاية المحمدية فهو رجل من العرب من أكرمها أصلاً وبدعاً، وهو في زماننا اليوم موجود عرفت به في سنة خمس وتسعين وخمسمائة»[٢٢].

وقوله الأخير يدل على أن خاتم الولاية (المقيدة) هو المهدي عليه السلام، وأما قوله: «إن خاتم الولاية المطلقة فهو عيسى عليه السلام، فغلط ظاهر، بل خاتمها هو علي عليه السلام لما سيأتي من كلامه، بل

وكلام غيره. وأما سائر الأولياء من الأئمة وغيرهم بالوراثة والنيابة عنه.

وقال في الباب السادس من المجلد الأول من «الفتوحات»: «في معرفة بدو الروحاني، ومن هو أول موجود، وبم (مم) وجد، وفيم وجد، وعلى أي مثال وجد، ولم وجد، وما غايته؟ وغير ذلك، وهو قوله: «كان الله ولا شيء معه»، ثم أدرج فيه «وهو الآن على ما كان» لم يرجع إليه من إيجاد العالم صفة لم يكن عليها، بل كان موصوفاً لنفسه ومسمى قبل خلقه بالأسماء التي ندعوه بها. فلما أراد وجود العالم وبدوه على حد ما علمه بعلمه بنفسه انفعل (عن تلك الإرادة المقدسة بضرب تجلّ من تجليات التنزيه إلى الحقيقة الكلية) عنها حقيقة تسمى الهباء، بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح بها ما شاء من الأشكال. وهذا هو أول موجود. وقد ذكره علي بن أبي طالب عليه السلام وسهل بن عبد الله وغيرهما من أهل تحقيق أهل الكشف والوجود.

ثم إنه سبحانه تجلّى بنوره إلى ذلك الهباء. ويسميه أصحاب الأفكار الهيولي الكل، والعالم فيه بالقوة والصلاحية. فقبل منه (تعالى) كل شيء في ذلك الهباء على حسب قوته واستعداده. كما تقبل زوايا البيت نور السراج.، وعلى قدر قربه من ذلك النور يشتد ضوؤه وقبوله. قال الله تعالى: «الله نور السموات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح»[٢٣] فشبّه نوره بالمصباح. فلم يكن أقرب (إليه) قبولاً في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد ﷺ المسماة بالعقل الأول. فكان سيد العالم بأسره وأول ظاهر في الوجود، فكان كل وجوده من ذلك النور الإلهي ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية، وفي الهباء وجد عينه، وعين العالم من تجليه، وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب عليه السلام وأسرار الأنبياء أجمعين»[٢٤] هذا آخر كلامه.

وهو كلام قاطع وبرهان ساطع على ختميته للولاية المطلقة حيث تقرر أن للحقيقة المحمدية ﷺ اعتبارين: اعتبار الظاهر واعتبار الباطن. والباطن يتعلق بالولي الخاتم الذي يكون أقرب الناس إليه، ويكون حسنة من حسناته. لأن غير علي عليه السلام ليس له هذا القرب ولا هذه الخصوصية، وسيما ما ورد من النبي ﷺ من إشارات دالة عليها، مثل قوله ﷺ: «أنا وعلي من نور واحد»[٢٥] و «أنا وعلي من شجرة واحدة والناس من شجر شتّى»[٢٦]، وغير ذلك مما سيأتي، الدال على أنهما من نور واحد ومن حقيقة واحدة. وكذلك قول علي عليه السلام: «أنا النقطة التي تحت الباء، وأنا الأول وأنا الآخر، وأنا الظاهر وأنا الباطن، وأنا وجه الله، وأنا جنب الله...». لأن كل ذلك يدل على أن حقيقته وحقيقة النبي ﷺ واحدة. وهذا هو المطلوب من هذا البحث.

وفي معرض هذا البحث عن كل واحد من الأئمة عليهم السلام ورد مثل هذا الكلام، كقولهم عليهم السلام: «نحن حجة الله ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمره في عباده، ونحن خزنة علم الله، وعيبة وحي الله، وأهل دين الله، وعلينا نزل كتاب الله، وبنا عُبد الله، ولولانا ما عُرف الله، ونحن ورثة نبي الله»[٢٧].

وفي «المجلى» قال علي عليه السلام: ختم النبي ﷺ مائة ألف نبي وأربعة آلاف وعشرين ألف نبي، وختمت أنا مائة ألف وصي وأربعة آلاف وعشرين ألف وصي[٢٨].

بيان: ولا يذهب عليك أن الوصي مستلزم للولي ولا عكس.

وفي «العيون» عن الرضا عليه السلام عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي ما سألت ربي شيئاً إلا سألت لك مثله، غير أنه تعالى قال: لا نبوة بعدك، أنت خاتم

النبيين، وعلي خاتم الوصيين(٢٩).

وفي مجالس الصدوق وابن الشيخ عن جابر عن رسول الله ﷺ في حديث قال في جملة منه: «فختم بي النبوة وبعلي الوصية»(٣٠).

وفي الكافي عن سالم الحنّاط قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن قول الله عز وجل: نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين، قال: هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام(٣١).

بيان: ولا يخفى أن هذه الولاية هي الولاية العامة لكل نبي وأمته، بل كل ملك في كل زمان. وتصديق ذلك ما في «الكافي» قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالى: «فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين، الذين يصدّون..» قال: المؤذن: أمير المؤمنين عليه السلام.

وما في الكافي عن أبي الصبّاح الكناني، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: والله إن في السماء لسبعين صفاً من الملائكة، لو اجتمع أهل الأرض كلهم يحصون عدد كل صف منهم ما أحصوهم، وإنهم ليدينون بولايتنا(٣٢).

وفي الكافي عن أبي الحسن عليه السلام قال: ولاية علي عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الأنبياء عليهم السلام، ولم يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد ﷺ ووصيه علي عليه السلام.

وفي تأويل الآيات عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون» بولاية علي عليه السلام.

وفي الكافي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: ولاية علي عليه السلام مكتوبة في صحف الأنبياء، ولم يبعث الله نبياً إلا بنبوة محمد ﷺ ووصية علي عليه السلام(٣٢).

والصبغة في قوله تعالى «صبغة الله» هي الولاية على ما رواه في

تأويل الآيات عن الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: صُبِغَ المؤمنون بالولاية في الميثاق(٣٣).

وفي الكافي بإسناده عن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» قال: نحن الأمة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه(٣٤).

وفي شواهد التنزيل عن سلمة بن قيس، عن علي عليه السلام: إن الله تعالى إيانا عنى بقوله: «لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» فرسول الله صلى الله عليه وآله شاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه(٣٥).

وفي «تأويل الآيات» في تفسير قوله تعالى: «يا أيها الناس أدخلوا في السلم كافة» عن الحسن بن أبي الحسن الديلمي رحمه الله بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة». قال عليه السلام: السلم ولاية علي بن أبي طالب وولاية أولاده عليهم السلام. وروى بهذا المعنى خبرين آخرين(٣٦).

آيات الولاية

وفي هذا الكتاب عن الحسن بن أبي الحسن الديلمي في كتابه عن أبي عبد الله عليه السلام: «وإذْ أخَذَ اللهُ ميثاقَ النَّبيِّينَ لما آتَيْتُكُمْ مِنْ كتابٍ وحكْمَة ثمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِه» يَعْني رسولَ الله صلى الله عليه وآله «ولَتَنْصُرُنَّهُ» يَعْني وصيَّهُ أميرَ المؤْمنينَ عليه السلام، ولمْ يَبْعَث اللهُ نَبِياً ولا رَسُولاً إلاَّ وأخَذَ عَلَيْهِ الميثاقَ لِمُحَمَّد صلى الله عليه وآله بالنُّبُوَّةِ، ولِعَلِيٍّ عليه السلام بالإمامَةِ(٣٧).

ثم روى عن كتاب الواحدة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى أحَدٌ واحِدٌ، وتَفَرَّدَ في وَحْدانيَّته، ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلِمَة فَصارَتْ نُوراً، ثُمَّ خَلَقَ مِنْ ذلكَ النُّورِ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله. وخَلَقَني وذُرِيَّتي، ثمَّ تَكَلَّمَ بِكَلِمَة فَصارَتْ رُوحاً، فأسْكَنَهَا اللهُ في ذلكَ النُّورِ، وَأَسْكَنَهُ في أبْدَاننا، فَنَحْنُ رُوحُ الله وكَلِمَتُهُ، وبِنَا احْتَجَبَ عَنْ خَلْقِه، فمَا زِلْنا في أظلَّة خَضْرَاءَ. حيثُ لا شَمْسٌ ولا قَمَرٌ ولا لَيْلٌ ولا نَهارٌ ولا عَيْنٌ تَطْرِفُ. نَعْبُدُهُ ونُقَدِّسُهُ ونُسَبِّحُهُ قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ، وأخَذَ ميثاقَ النَّبِيِّينَ بالإيمانِ والنُّصْرَةِ لَنا، وذلكَ قَوْلُهُ تعالى: «وإذْ أخَذَ اللهُ ميثاقَ النَّبِيِّينَ لما آتَيْتُكُمْ مِنْ كتاب وحِكْمَة ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِه» يَعْني مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله «وَلَتَنْصُرُنَّ» وصِيَّهُ، فَقَدْ آمَنُوا. بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَلَمْ يَنْصُرُوا وَصِيَّهُ، وَسَيَنْصُرُونَهُ جميعاً.

وإنَّ الله تعالَى أخَذَ ميثاقي مع ميثاقِ محمَّد صلى الله عليه وآله بالنُّصْرَةِ بَعْضُنا لِبَعْض، فَقَدْ نَصَرْتُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله، وجَاهَدْتُ بَيْنَ يَدَيْه، وقَتَلْتُ عَدُوَّه، وَوَفيتُ اللهَ بِما أخَذَ عَلَيَّ مِنَ الميثاقِ والعَهْدِ والنُّصْرَةِ لِمُحَمَّد صلى الله عليه وآله، وَلَمْ يَنْصُرْني أحَدٌ مِنْ أنْبيائِه ورُسُلِه، وَ عليه السلام ذلكَ رضي الله عنه لِما قَبَضَهُمُ اللهُ تعالى إلَيْهِ وَسَوْفَ يَنْصُرُونِي. الحديث[٣٨].

وروى في «تأويل الآيات» عن «الكافي» في تفسير قوله تعالى: «وَلَوْ أنَّهُمْ أقامُوا التَّوْراةَ والإنْجيلَ وما أُنْزِلَ إلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ. الآية. (عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عز وجل: ولو أنَّهُمْ أقامُوا التَّوراةَ والإنْجيلَ وما أُنْزِلَ إلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ» قال: الولاية)[٣٩]. وفي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ولايَتُنا ولايةُ الله، لَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبِياً إلاَّ بها[٤٠].

وفي «تأويل الآيات» في تفسير: فاذْكُرُوا آلاءَ الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، عن «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام: واذْكُرُوا آلاء اللهِ، قال: أوتَدْري ما آلاءُ اللهِ؟ قُلْتُ: لا. قال: هِيَ أعْظَمُ نَعْمَاءِ الله على خَلْقِهِ وهيَ ولايَتُنا[٤١].

وعن طريق العامة نقله عن ابن مردويه عن رجاله مرفوعاً إلى الإمام محمد الباقر عليه السلام أنّه قال: قَوْلُهُ تعالى: يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا اسْتَجيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إذا دَعاكُمْ لِمَا يُحْييكُمْ، قال: إلى ولايَةِ عليّ بْنِ أبي طالب عليه السلام. صدق ابن رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه لا شك أن حياة القلب بولايته، وموته بعدمه(٤٢).

روى أبو الجارود عن محمد بن علي الباقر قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله. الآية نزلت في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام(٤٣).

وفي «تأويل الآيات» في تفسير قوله تعالى: «واتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصيبَنَّ الَّذينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً، عن كتاب «نهج الإيمان» قال: ذكر أبو عبد الله محمد بن علي السراج في كتابه في تأويل هذه الآية حديثاً يرفعه بإسناده إلى عبد الله بن مسعود قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: يا ابْنَ مَسْعُود إنَّهُ قَدْ نَزَلَتْ في عليٍّ عليه السلام آية: «واتَّقُوا فِتْنَةً». الآية، وأنَا مُسْتَوْدِعُها، فَكُنْ لما أقُولُ واعياً وعَنّي مُؤدِّياً: مَنْ ظَلَمَ عَلِياً مَجْلِسي هذا كانَ كَمَنْ جَحَدَ نُبُوَّتي ونُبُوَّةَ الأنْبياء منْ قَبْلي. فقال الراوي لابن مسعود: أسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، فقلت له: فكنت من الظالمين! قال: لا جرم حلت بي عقوبة على أن لم أستأذن إمامي كما استأذنه جندب وسلمان وعمار، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه(٤٣).

وفي «تأويل الآيات» عن «شواهد التنزيل» للحاكم، عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: واتَّقُوا فِتْنَةً. الآية، قال النبي صلى الله عليه وآله: مَنْ ظَلَمَ عَلِياً بِمَهْدِي هذا بَعْدَ وفاتي فَكَأنَّما جَحَدَ نُبُوَّتي ونُبُوَّةَ الأنْبِياءِ منْ قَبْلي(٤٤).

أقول: لا ريب فيما قاله صلى الله عليه وآله، لأن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام مع كل نبي من الأنبياء، فمن أنكره فقد أنكر ولاية كل نبي. والنبوة بدون الولاية غير معقولة.

وفي «تاويل الآيات» في تفسير قوله تعالى: «وبَشِّرِ الَّذينَ آمَنُوا أنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ، عن «الكافي» بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «وبَشِّرِ الَّذينَ آمَنُوا ـ الآية، قال: ولايَةُ أميرِ المُؤْمِنينَ عليه السلام(٤٥).

وفي «تاويل الآيات» في تفسير قوله تعالى: واللهُ يَدْعُو إلى دارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ إلى صراطٍ مُسْتَقيمٍ، عن كتاب «نخب المناقب» لعبد الله بن الحسين بن جبير بإسناده إلى عبد الله بن عباس وزيد بن علي عليه السلام في قوله تعالى: «واللهُ يَدْعُو إلى دارِ السَّلامِ» يَعْنِي بِهِ الجَنَّةَ «وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ» قال: يَعْنِي ولايَةَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام(٤٦).

وفي «تاويل الآيات» في تفسير قوله تعالى: «إنَّما أنْتَ مُنْذِرٌ ولِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ عن الحاكم بإسناده عن أبي بريدة الأسلمي قال: دَعا رسُولُ الله صلى الله عليه وآله بطهُورٍ وعِنْدَهُ عليٌّ بنُ أبي طالب عليه السلام، فأخَذَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله بيَدِ عليٍّ عليه السلام بَعْدَ ما تَطهَّرَ، فألْصَقَها بِصَدْرِهِ، قالَ «إنَّما أنْتَ مُنْذِرٌ» يَعْنِي نَفْسَهُ، ثمَّ رَدَّها إلى صَدْرِ عليٍّ عليه السلام ثُمَّ قالَ: «ولِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ»، ثمَّ قالَ: إنَّكَ منارُ الأعْلامِ وغايَةُ الهُدَى وأميرُ القُرى، أشْهَدُ على ذلِكَ أنَّكَ كذلِكَ(٤٧).

وفي «تاويل الآيات» في تفسير قوله تعالى: ولَقَدْ صرَّفْنا للنَّاسِ في هذا القرآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فأبى أكْثَرُ النَّاسِ إلاَّ كُفُوراً، عن «الكافي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: نَزَلَ جَبْرَئيلُ عليه السلام بِهَذِهِ الآيةِ هكذا: فأبَى أكثَرُ النَّاسِ بولايَةِ عليٍّ عليه السلام إلاَّ كُفُوراً. ونقل بمعناه خبراً آخر عن محمد بن العباس عنه عليه السلام(٤٨).

وفي «تاويل الآيات» ذكر أخباراً مستفيضة في تفسير قوله تعالى: واحْلُلْ لي لِسانَ صِدْقٍ عَلِياً، عن «اكمال الدين» وعن كتاب محمد بن

العباس وعن غيرهما: إن لسان الصدق هو علي بن أبي طالب عليه السلام (٤٩).

وفي «تأويل الآيات» في تفسير قوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ منَ النَّبِيِّينَ منْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وممَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ومنْ ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ وإسْرائيلَ وممَّنْ هَدَيْنا واجْتَبَيْنا إذا تُتْلَى عَلَيهِمْ آياتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وبُكياً، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانَ عليُّ بْنُ الحُسَيْنِ عليه السلام يَسْجُدُ في سُورَةِ مَرْيَمَ ويَقُولُ: «ممَّنْ هَدَيْنا واجْتَبَيْنَا إذا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وبُكياً»: نَحْنُ عُنينا بِذلِكَ، ونَحْنُ أهْلُ الصَّفْوَةِ، ونَحْنُ أهْلُ الحَبْوَةِ.

ويروى عن أبي الحسن موسى عليه السلام في تفسير هذه الآية: نَحْنُ ذُرِّيَّةُ إبراهيمَ، ونَحْنُ المَحْمُولُونَ معَ نُوحٍ عليه السلام، ونَحْنُ صَفْوَةُ الله(٥٠).

وفي «تأويل الآيات» عن المفيد بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: أخَذَ اللهُ الميثاقَ على النَّبِيِّينَ فقالَ: ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بَلَى» وأنَّ هذا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله رَسُولي؟ وأنَّ عَلِياً أميرُ المُؤْمنينَ؟ قالُوا: بلى. فَثَبَتَ لَهُمُ النُّبُوَّةُ. ثُمَّ أخَذَ الميثاقَ عَلَى أولِي العَزْمِ أنِّي ربُّكُمْ، ومُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله رَسُولي، وَعليٌّ أميرُ المُؤْمنينَ والأوصياءُ عليهم السلام منْ بَعْدِه ولاةُ أمْري وخُزّانُ علْمي، وأنَّ المَهْديَّ عليه السلام انْتَصِرُ بِهِ لديني وأُظْهِرُ بِهِ دَوْلَتي، وانْتَقِمُ بِهِ منْ أعْدَائي، وأعْبَدُ بِهِ طَوْعاً وكَرْهاً، قالُوا: أقْرَرْنا يا رَبَّنا وشَهِدْنا، وَلَمْ يَجْحَدْ آدَمُ عليه السلام وَلَمْ يُقِرَّ، فَثَبَتَتِ العَزِيمَةُ لِهَؤُلاءِ الخَمْسَةِ في المَهْديِّ، وَلَمْ يَكُنْ لآدَمَ عَزيمَةٌ على الإقْرارِ(٥١).

وروى أيضاً عنه عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ومَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً، قال عليه السلام: يَعْني بِهِ ولايَةَ أميرِ المُؤْمنينَ عليه السلام (٥٢).

وفي «تأويل الآيات» في تفسير قوله تعالى: فِطْرَةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ

النَّاسَ عَلَيْها، ذكر أخباراً ثلاثة أنّها ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وفي بعضها التوحيد والنبوة والولاية(٥٣).

وفي «تأويل الآيات» في تفسير قوله تعالى: إنَّا عَرَضْنَا الأمانَةَ. الآية، قال عليه السلام: يَعْني بِها ولايَةَ عليٍّ بنِ أبي طالب عليه السلام(٥٤). وفي «الكافي» عن ابن عمّار في تفسير قوله تعالى: إنَّا عَرَضْنَا الأمانة. إلخ، قال عليه السلام: هيَ الولايَةُ لأميرِ المُؤْمِنينَ عليه السلام(٥٥).

وفي «تأويل الآيات» في تفسير قوله تعالى: قُلْ إنَّما أعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أنْ تَقُومُوا للهِ مَثْنَى وفُرادى، روى أخباراً ثلاثة أن الواحدة هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ومثنى طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وطاعة أمير المؤمنين عليه السلام، وفرادى طاعة ذريته عليه السلام(٥٦).

وفي «تأويل الآيات» عن أبي عبد الله عليه السلام: «لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ على أكْثَرِهِمْ فهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» مِمَّنْ لا يُقِرُّ بِوَلايَةِ أميرِ المُؤْمِنينَ عليه السلام(٥٧).

وفي «تأويل الآيات» في تفسير قوله تعالى: وَقِفُوهُمْ إنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ، روى أخباراً كثيرة أنّه يسألهم عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، منها ما رواه الشيخ الطوسي رحمه الله في «مصباح الأنوار» بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ جَمَعَ اللهُ الأوّلينَ والآخِرينَ في صَعيدٍ واحد، ونُصِبَ الصِّراطُ على شَفيرِ جَهَنَّمَ، فَلَمْ يَجُزْ عَلَيْهِ إلاَّ مَنْ كانَتْ مَعَهُ براءَةٌ مِنْ عليِّ بْنِ أبي طالِبٍ عليه السلام(٥٨).

وذكر أيضاً في هذا الكتاب بإسناده عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ أقِفُ أنَا وعَلِيٌّ عليه السلام على الصِّراط، بيَدِ كُلِّ واحِدٍ مِنَّا سَيْفٌ، فلا يَمُرُّ أحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ إلاَّ سَأَلْنَاهُ مِنْ ولايَةِ عليٍّ عليه السلام، فَمَنْ مَعَهُ شَيْءٌ مِنْها نَجا وفازَ وإلاَّ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وألْقَيْناهُ في النَّارِ. ثم تلا: وَقِفُوهُمْ إنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ»(٥٩).

وهذه الأخبار تدل على أن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام مفترضة على

الخلق أجمعين. وإذا كان الأمر كذلك فهو أفضل خلق الله بعد النبي المصطفى ﷺ.

وذكر في تفسير قوله تعالى: وإنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ ولِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ، أخباراً مستفيضة: وسوف تسألون عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام (٦٠).

وروى الشيخ الطوسي رحمه الله في أماليه بإسناده عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: ما قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ حتّى أمَرَهُ أن يُوصِيَ إلى أفْضَلِ عِتْرَتِهِ مِنْ عُصْبَتِهِ، وأمَرَني أنْ أُوصِيَ، فقُلْتُ: إلى مَنْ يا رَبِّ؟ فقالَ: أوْصِ يا مُحَمَّدُ إلَى ابْنِ عَمِّكَ عَلِيِّ بْنِ أبي طالب عليه السلام، فإنِّي قَدْ أثبَتُّهُ في الكُتُبِ السَّابِقَةِ وكَتَبْتُ فيها أنَّهُ وصِيُّكَ، وعَلَى ذلكَ أخَذتُ ميثاقَ الخلائقِ ومَواثيقَ أنْبِيائي ورُسُلي، أخَذْتُ مواثيقَهُمْ لي بِالرُّبُوبِيَّةِ، ولَكَ بالنُّبُوَّةِ، ولِعَلِيِّ بْنِ أبي طالِبٍ بالوِلاَيَةِ (٦١).

وفي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام: ما مِنْ نَبِيٍّ جاءَ قَطُّ إلاّ بِمَعْرِفَتِنا وتَفْضِيلِنا على مَنْ سِوانا (٦٢).

وفي «الكافي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ اللهَ عز وجلّ نَصَبَ عَلِياً عليه السلام عَلَماً بَيْنَهُ وبَيْنَ خَلْقِه، فَمَنْ عَرَفَهُ كانَ مُؤْمِناً، ومَنْ أنْكَرَهُ كانَ كافِراً، ومَنْ جَهِلَهُ كانَ ضالاً، ومَنْ نَصَبَ مَعَهُ شَيْئاً كانَ مُشْرِكاً، ومَنْ جاءَ بِوِلايَتِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ (٦٣).

وفي «العيون» عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه مر في طريق فسايره خيبري فمرّا بواد قد سال، وركب الخيبري مرطه وعبر على الماء، ثم نادى إلى أمير المؤمنين عليه السلام: يا هذا لو عرفت كما عرفت لجزت كما جزت، قال أمير المؤمنين عليه السلام: مكانك، ثم أومى بيده إلى الماء فجمد، ومر إليه. فلما رأى الخيبري ذاك انكب على قدميه وقال: يا فتى، ما قلت حتّى حولت الماء حجراً؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:

فما قلت أنت حتى عبرت على الماء؟ فقال الخيبري: دعوت الله باسمه الأعظم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وما هو؟ قال: سألته باسم وصي محمد صلى الله عليه وآله الأعظم، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أنا وصي محمد صلى الله عليه وآله، فقال الخيبري: أنه لحق، ثم أسلم(٦٤).

وفي «العيون» عن الرضا عليه السلام في جملة حديث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن اسرافيل، عن الله تعالى: عَلِيٌّ وَجْهِيَ الَّذي مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ لَمْ أَصْرِفْ وَجْهِي عَنْهُ، وحُجَّتِي في السَّماواتِ والأَرْضينَ عَلَى جَميعِ مَنْ فيهِنَّ مِنْ خَلْقي، لا أَقْبَلُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْهُمْ إلاَّ بالإقْرارِ بوَلايَتِه مَعَ نُبُوَّةِ أَحْمَدَ صلى الله عليه وآله رَسولي، وهُوَ يَدِي المَبْسُوطَةُ على عِبادي، وهُوَ النِّعْمَةُ الَّتي أَنْعَمْتُ بِها على مَنْ أحِبُّهُ مِنْ عِبادي(٦٥).

وفي «تأويل الآيات» عن الشيخ الطوسي رحمه الله، وفي «شرح الصحيفة» عن الصادق عليه السلام قال: إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ جَمَعَ اللهُ الخلائقَ للْحِسَاب، فأَوَّلُ مَنْ يُدْعَى لَهُ نُوحٌ، فيُقال لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فيَقُولُ: نَعَمْ، فيقَال: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فيَقُولُ: مُحَمَّدُ بْنُ عبدِ الله صلى الله عليه وآله. قال: فيَخْرُجُ نُوحٌ عليه السلام يَتَخَطَّى رِقابَ النَّاسِ حتَّى يَجيءَ إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَهُوَ على كثيب مِنْ مِسْك ومَعَهُ عليٌّ عليه السلام، وهُوَ قَوْلُ الله عزَّ وجلَّ: «فلَمَّا رأوهُ زُلْفَةً سيئَتْ وُجُوهُ الَّذينَ كَفَرُوا» فيَقُولُ نُوحٌ لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله: يا مُحَمَّدُ إنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالى سألَني هَلْ بَلَّغْتَ؟ فقُلْتُ: نَعَمْ، فقالَ: مَنْ يَشْهَدُ بذَلكَ؟ فقُلْتُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: يا جَعْفَرُ صلى الله عليه وآله ورسوله يا حَمْزَةُ اذْهَبا واشْهَدا لَهُ أنَّهُ قَدْ بَلَّغَ. فقال أبو عبد الله عليه السلام: جَعْفَرُ وحَمْزَةُ هُما الشَّاهدانِ للأنْبياء عليهم السلام بِمَا بَلَّغُوا فقُلْتُ: جُعِلْتُ فِداكَ فَعَلِيٌّ أَيْنَ هُوَ؟ فَقالَ: هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلكَ(٦٦).

وسيأتي الأخبار في ذلك مضافاً على ما ذكر.

التكامل التدريجي للنبوة والولاية، ووحدة الولي في كل عصر

واعلم أن النبوة المقيدة إنّما كملت وبلغت غايتها بالتدريج، فأصلها تمهّد بآدم عليه السلام، ولم تزل تنمو وتكمل حتى بلغ كمالها إلى نبيّنا صلى الله عليه وآله، ولهذا كان خاتم النبيين، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله: مَثَلُ النُّبُوَّةِ مَثَلُ دارٍ مَعْمُورَةٍ لَمْ تَبْقَ فيها إلاَّ مَوْضِعُ لَبِنَةٍ، وكُنْتُ أنَا تِلْكَ اللَّبِنَةَ(٦٧).

وكذلك الولاية المطلقة إنما تدرجت إلى الكمال حتى بلغت غايتها إلى المهدي الموعود ظهوره، الذي هو صاحب الأمر عليه السلام في هذا العصر، وبقية الله اليوم في بلاده وعباده صلوات الله عليه وعلى آبائه المعصومين. ولا يذهب عليك أنّهم قالوا: إن النبوة المطلقة والولاية المطلقة قابلة للتشريك بين اثنين كما في موسى وهارون عليهما السلام، وأما الإمامة أعني الولاية المقيدة الخاصة لا تصلح أن تكون في عصر واحد لأكثر من شخص واحد، لأن الخلق باعتبار الولي كالمعلول في الفيض واستفادة الكمال، والولي كالعلة في الإفاضة والتعليم، فلو اجتمع اثنان في عصر واحد متصرفان لتوارد علتان على معلول واحد شخصي، هذا خلف.

وفيه تأمّل، والأصوب أن يقال: إنّا بيّنا سابقاً أن الإمام عليه السلام متصرف في مادة العالم العنصري، فيكون بالنسبة إلى جميع الأشخاص كالنفس بالنسبة إلى البدن في تدبيره وإصلاحه وإظهار الكمالات فيه، فجميع العالم بالنسبة إليه كالبدن الواحد، فيجب أن يكون هو بالنسبة إلى العالم كالنفس الواحدة. فكما لا يجوز اجتماع

نفسين على بدن واحد، كذلك لا يصح اجتماع إمامين في عصر واحد.

وأيضاً المقصود من الإمام إصلاح نظام العالم، فإن كان الواحد يحصل منه ذلك الغرض كان وجود الآخر خالياً عن الفائدة، فيمتنع إيجاده في الحكمة. وإن لم يكن المقصود حاصلاً بذلك الواحد لم يكن مستحقاً للولاية، للزوم العبث في نصبه، فلا يكون إلا واحداً.

وفي «أمالي» الشيخ أبي جعفر الطوسي رحمه الله، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، عن جده: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: أَنْتَ الَّذي احْتَجّ الله بِكَ في ابْتِداءِ الخَلْقِ حَيْثُ أقامَهُمْ أشْباحاً، فقالَ لَهُمْ: «ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالُوا: بلى». قال: ومُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله رَسُولي؟ قالُوا: بَلَى[٦٨]. قال: وعَلِيٌّ عليه السلام أميرُ المُؤْمنينَ؟ فأبَى الخَلْقُ كُلُّهُمْ جميعاً (إلاَّ) استكْباراً وعُتُواً عَنْ ولايَتِكَ إلاَّ نَفَرٌ قليلٌ وهُمْ أقَلُّ القَليلِ وهُمْ أصْحَابُ اليَمينِ[٦٩].

وعن محمد بن العباس، في تفسير قوله تعالى: وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ويَغْفِرْ لَكُمْ صلى الله عليه وآله ذُنُوبَكُمْ رضي الله عنه واللهُ غَفُور رَحيمٌ[٧٠]، بإسناده عن كعب بن عياض قال: طعنت على علي عليه السلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فوكزني في صدري، ثم قال: يا كَعْبُ إنَّ لعليٍّ عليه السلام نُورَيْنِ: نُورٌ في السَّمَاء، ونُورٌ في الأرْض، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِنُورِه، أدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ، ومَنْ أخْطَأَهُ أدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ، فبَشِّرِ النَّاسَ عَنِّي بِذَلِكَ[٧١].

وفي «الكافي» بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: «فَمِنْكُمْ كَافِرٌ ومِنْكُمْ مُؤْمِنٌ» قال: عَرَفَ إيمانَهُمْ بِمُوالاتِنَا، وكُفْرَهُمْ بها يَوْمَ أخَذَ عَنْهُمُ الميثاقَ وهُمْ ذَرٌّ في صُلْبِ آدَمَ عليه السلام[٧٢].

وفي «تأويل الآيات» في تفسير قوله تعالى: «وأنْ لَوِ اسْتَقَامُوا على الطَّرِيقَةِ لأسْقَيْنَاهُمْ ماءً غَدَقاً عن تفسير محمد بن العباس بإسناده عن سماعة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله تعالى:

وأنْ لَوِ اسْتَقَامُوا ـ الآية: يَعْني لَوِ ـ اسْتَقَامُوا على الولايَةِ في الأصْلِ عِنْدَ الأظلَّةِ حينَ أخَذَ اللهُ الميثاقَ عَلَى ذُرِّيَّةِ آدَمَ عليه السلام، «لأسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً»، يَعْنِي لَكُنَّا أسْقَيْنَا (هُمْ) مِنَ المَاءِ الفُراتِ العَذْبِ(٧٣).

وروى حديثين عن أبي عبد الله عليه السلام: أن لو استقاموا على الولاية لأسقيناهم ماء غدقاً، يعني علماً كثيراً يتعلمونه من الأئمة عليهم السلام (٧٣).

وفي «الكافي» بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل «بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَياةَ الدُّنْيا» قال: يَعني ولايَتَهُمْ «والآخِرَةُ خَيْرٌ وأبْقَى» قال: ولايَةُ أميرِ المُؤْمِنينَ عليه السلام، «إنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى، صُحُفِ إبْراهيمَ وَمُوسى»(٧٤).

وتفصيل ذلك توضيحاً لما سبق: أن النبوة هي الإخبار عن الحقائق الإلهية والمعارف الربانية، فهي الإخبار عن ذات الحق تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه؛ وتنقسم إلى نبوة تعريف وهي الأخبار والإنباء عن معرفة الذات والصفات والأسماء والأفعال؛ وإلى نبوة تشريع وهي كذلك مع زيادة تبليغ الأحكام والتأديب بالأخلاق الحميدة والقيام بالسياسة، وتسمّى هذه رسالة. والولاية هي الاطلاع على الحقائق الإلهية ومعرفة ذاته وصفاته وأفعاله كشفاً وشهوداً من الله خاصة من غير واسطة ملك من الملائكة أو أحد من البشر.

وبوجه آخر: النبوة هي قبول النفس القدسية حقائق المعلومات والمعقولات عن جوهر العقل الأول؛ والرسالة تبليغ تلك المعلومات والمعقولات إلى المستعدين. والولاية تبليغ النفس الكلي للنفس الجزئي على قدر صفائه وقبوله وقوة استعداده. وولاية الرسول متقدمة على نبوته، لأن النبوة بدون الولاية ممتنعة، وكذلك الرسالة بدون النبوة ممتنعة؛ ولهذا كل رسول نبي، وكل نبي ولي ولا عكس.

وإذا كانت الولاية أقدم من النبوة، والنبوة أقدم من الرسالة، فلا يلزم من تقديم الولاية على النبوة، وتقديم النبوة على الرسالة تقديم الولي على النبي، ولا تقديم النبي على الرسول، لأن هذا الترتيب إنما هو باعتبار اجتماعها في شخص كالرسول، لا كل واحد بانفراده، فإنّها إذا اجتمعت في شخص واحد وجب أن يكون ولايته أعظم من النبوة والنبوة أعظم من الرسالة وإن كان الرسول أعظم من النبي، والنبي أعظم من الولي. فلا ـ يتوهم من كلامهم: أن الولاية أعظم من النبوة، والنبوة أعظم من الرسالة، كون الولي أعظم من النبي، والنبي أعظم من الرسول، بل الأمر ليس كذلك لأن النبي له مرتبة النبوة، وليس للولي ذلك، لأن مرتبة الولاية خاصة. والرسول له مرتبة الرسالة فوق مرتبة النبوة، وليس للنبي ذلك، فلا يكون الولي أعظم من النبي، ولا النبي أعظم من الرسول، لأن كل واحد منهم تابع للآخر، والتابع لا يلحق المتبوع من حيث هو تابع. فالولي تابع للنبي دائماً وإلاّ لا يكون ولياً، والنبي تابع للرسول دائماً وإلا لم يكن نبياً، فلا يكون أعظم منه. وهذه قاعدة مطردة لا ريب فيها.

معاني الوحي، الإلهام والحديث القدسي والنبوي

إذا عرفت ذلك فاعلم أن الكتب المنزلة على الأنبياء من اقتضاء الحضرة الأحدية، والحديث القدسي من اقتضاء الحضرة الواحدية، والحديث النبوي من اقتضاء الحضرة الربوبية، والكل خارج عن فم واحد ولسان واحد لكن بحسب المقام والمرتبة.

ثم اعلم أن الكتاب النازل من الحضرة الإلهية على ملك من الملائكة أو نبي من الأنبياء أو غير ذلك من الكتب السماوية فهو ينزل أولاً إلى

العقل الأول المعبّر عنه بأم الكتاب مجملاً، ثم إلى النفس الكلية المعبر عنها بالكتاب المبين مفصلاً، ثم إلى عالم الأرواح والنفوس المجردة، ثم إلى عالم الأجسام والمركبات.

ويسمّى الأول إفاضة الحضرة الإلهية على العقل الكلي، وهو الوحي في مقام الولاية. ويسمّى الثاني إفاضة العقل الكلي على النفس الكلية، وهو الإلهام في مقام النبوة. ويسمى الثالث إفاضة النفس الكلية على الأرواح والنفوس المجردة، وهو الكشف في مقام الرسالة. فالأول مخصوص بالرسالة، والثاني بالنبوة، والثالث بالولاية. فالفراسة والحدس وما هو من هذا القبيل يكون من اقتضاء الكشف أو الوحي الخفي دون الجلي والإلهام العام دون الخاص.

والحاصل أن الإنسان إذا كان في مقام الوحدة الصرفة شاهد الحضرة الأحدية الذاتية، فما يصدر عنه في ذلك الوقت يسمّى كلاماً إلهياً موسوماً عرفاً بالوحي الخفي، لأنّه في مقام البقاء بعد الفناء، وليس بينه وبين حبيبه حجاب ولا واسطة.

وإذا كان في مقام النبوة وحالة الدعوة والإخبار عن الله تعالى بواسطة ملك من الملائكة، فما يصدر عنه في ذلك الوقت يسمّى حديثاً قدسياً حاصلاً له من الوحي الجلي، لأنّه لا يكون إلا بواسطة ملك، لأن الجلي لا يكون إلا بها، لأنه هنا في مقام الخلافة والوسيلة بينه وبين خلقه وهو مقتضى الواسطة، لأن الملك من حيث تجرده الذاتي وتقدسه الوصفي أقرب إلى الحضرة من النبي المتعلق بدعوة الخلق وإرشادهم.

وإذا كان في مقام الرسالة وتأسيس الحكم والسياسة والحرب والمعارضة، فما يصدر عنه في هذا المقام يسمى حديثاً نبوياً حاصلاً من الوحي الجلي؛ والإلهام والحدس والفراسة والكشف والكرامة وغير ذلك يكون تحت مرتبته ومقامه، لأن كل رسول نبي، وكل نبي ولي.

فالولاية من حيث هي أقرب وأعظم من النبوة، والنبوة من الرسالة، لا الولي والنبي والرسول. فإذا كان في مقام البشر وعالم الطبيعة، فما يصدر عنه فيه يسمى كلاماً بشرياً وحديثاً إنسانياً، ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ(٧٥).

واعلم أن نبيّنا ﷺ أفضل الخلق وأكملهم، لأنّه ﷺ سيّد ولد آدم، وهو سيّد العالمين، وهو أول ما خلق الله نوره وشرف بخطاب لَوْلاكَ لَوْلاكَ لَما خلَقْتُ الأفْلاكَ، فإنّه ﷺ صاحب المرتبة الكلية الجامعة لجميع مراتب الكمال الّتي يمكن اجتماعها في الإنسان، فكان بذلك المرتبة الثانية بعد المرتبة الإلهية، لأنّه المظهر لجميع صفات الحق خصوصاً الاسم الخاص به تعالى أعني «الرحمن» المشتمل على غاية كمال النبوة المقرونة بالولاية الشاملة صورة ومعنى، باعتبار قابليته لغاية التجلي بجميع صفات الله تعالى وأسمائه وقبوله للفيض الوجودي، وما يتفرع عليه من الكمالات باعتبار نشأته النورية الحقيقية والصورية الظهورية الجامعة لجميع الصفات الإلهية. فليست تلك الكمالات بالأصالة إلا له ﷺ، ولهذا كان خاتم الرسالة.

فجميع ما يأخذه الأنبياء والأولياء من المبدأ إلى الخاتم منه ﷺ، فكل خير وكمال لهم فمنه ﷺ، لأن المرتبة الكلية التي هي الأصل لجميع المراتب لا يصح فيها التعدد والتكثر وإلاّ لزم اجتماع الأمثال، لأن الوجود الكلي الأكملي لا مثل (له فالمرتبة الثانية الكلية يجب أن يكون كذلك، فعلم أن المحيط لمجموع مراتب الكمال لا مثل له، فهو ﷺ أفضل الخلق وأكمل العالمين.

ولا يخفى أن مرتبة الولاية المطلقة أصل وأشرف وأعلى من مرتبة النبوة. أما أولاً ـ فلأن الولاية مبدأ لها، لأن النبي لا يكون نبيّاً حتى يكون ولياً، فالولاية مبدأ النبوة؛ وإذا كانت مبدءاً لها كانت سابقة عليها

وعلة في حصولها، فتكون ولاية النبي المطلقة أجل وأشرف وأعلى من نبوته. وأما ثانياً ـ فلأن الولاية أعلى منها رتبة، لأن مبداها الوحدة المطلقة التي هي مقام لا يَسَعُنِي مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وكمال النبوة من جهة الكثرة الحاصلة بسبب الرد إليها بعد المقام المشار إليها بقوله ﷺ : إنِّي أُباهي بِكُمُ الأمَمَ(٧٦)، ولا ريب أن مقام الوحدة أجل وأشرف وأعلى من مقام الكثرة، فتكون قوة النبوة من الولاية، فتكون أشرف منها.

وأما ثالثاً ـ فلأن الولاية أكمل حيطة وأوسع مجالاً وأبسط حقيقة، لكونها كالجنس الداخل تحتها سائر الولايات، والجامعة لأصناف الكمالات، لدخول النبوة تحتها من حيث أنّها ولاية خاصة داخلة تحت مطلق الولاية، والأعم أشرف وأكمل من الأخص. أمّا كمال حيطتها فباعتبار كثرة أشخاصها على أشخاص النبوة. وأمّا سعة مجالها فباعتبار سعة دائرتها، لأن دائرة الولاية محيطة بدائرة النبوة لدخولها في ضمنها من حيث العموم والخصوص المطلق. وأمّا بساطة حقيقتها فباعتبار وحدتها وعدم تركّبها بخلاف النبوة.

ظهور بلطن الولاية في عصر الإمام المهدي عليه السلام

أيّها العزيز! قد جاء في كتاب «المقصد الأقصى» كلام لشيخ المشايخ سعد الدين الحموي يقول فيه: ينبغي أن يكون لطرفي الجوهر الأول مظهرين في هذا العالم. فمظهر الجانب الذي اسمه النبوة هو خاتم الأنبياء، ومظهر الجانب الذي اسمه الولاية هو صاحب الزمان. ولصاحب الزمان أسماء كثيرة، كما أن للجوهر الأول أسماء كثيرة.

أيها الدرويش! لصاحب الزمان علم كامل كما أن له القدرة الكاملة.

وهما مصاحبان له، فإذا ظهر ملأ الأرض بهما، وطهّر الأرض من الجور والظلم وملأها قسطاً وعدلاً، ويتنعّم الناس في عصره وزمانه. وقد صنّف الشيخ سعد الدين الحموي حول صاحب الزمان كتباً وقال فيه الكثير من الثناء وأخبر أن وقته الذي يعيش فيه هو وقت ظهوره. ولكن هذا المسكين لم يكن يدري أن وقت ظهوره ليس معلوماً.

أيها الدرويش! لصاحب الزمان أمور لو ذكرتُ معشار معشارها لما صدقني أحد، ولأنكروا إمكانها. وإن أحواله فوق طاقة البيان.

ولأنك علمت أن الولاية هي باطن النبوة، وعلمت أيضاً أن الولاية والنبوة هما صفتان لمحمد ﷺ، فاعلم أن صفة نبوة محمد ﷺ حتى الآن كانت ظاهرة. فصورتها كانت ظاهرة عبر جميع الأنبياء. وقد وصل الدور اليوم إلى الولاية التي لا بد أن تظهر وتظهر معها الحقائق.

وقيل أن إمام الزمان بما أنه الولي فعند ظهوره تظهر الولاية وتظهر الحقائق وتختفي الصورة. وما زالت المدارس حتى يومنا هذا تدرس علم الظاهر، وكانت الحقائق مخفية، ذلك لأن العصر كان عصر النبوة، والنبوة هي الظاهر. وحيث أن النبوة تنتهي ويبدأ عصر الولاية، يبدأ معها بيان وظهور الحقائق. فتبدأ المدارس عندها بتدريس حقيقة الإسلام وحقيقة الصلاة وحقيقة الصوم وحقيقة الحج، وحقيقة الجنة وحقيقة النار وحقيقة الثواب وحقيقة العقاب وحقيقة الصراط.

وعن الشيخ سعد الدين الحموي أنه قال: لن يخرج المهدي عليه السلام حتى يسمع من شراك نعله أسرار التوحيد.

وجاء في صحف إبراهيم عليه السلام: الصمت عن الباطل صوم، واليأس عن الخلق صلاة، وحفظ الجوارح عبادة، وترك الهوى جهاد، والكف عن الشر صدقه.

وعندما تظهر الحقائق تكون القيامة، لأن يوم القيامة هو يوم تبلى

السرائر. وإذا قامت القيامة وظهرت الحقائق يظهر الحق تعالى على الجميع. واليوم هو ظاهر للبعض، ولكنه يوم القيامة يظهر للكل: إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر»[٧٧]. انتهى الكلام من المقصد الأقصى.

مقام الإنسان الكامل

أيها العزيز! حيث علمت مراتب النبوة المطلقة والمقيدة وكذلك الولاية المطلقة والمقيدة وخاتم النبوة والولاية فاعلم أن الله تعالى ينظر بنظرة إلى العالم وعين العالم وهو الإنسان الكامل، فيرحمه بالوجود، كما قال تعالى: لَوْلاكَ لَوْلاكَ لما خلَقْتُ الأفْلاكَ، وقال الله تعالى: وما أرْسَلْنَاكَ إلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ[٧٨]، وإليه أشار بعين الحياة وقال: عين الحياة هو باطن اسم الحي الذي من تحقق به شرب من ماء عين الحياة الذي من شربه لا يموت أبداً لكونه حياً بحياة الحي، وكل حي في العالم يحيى بحياة هذا الإنسان، لكون حياته حياة الحق.

وإلى ماء هذا العين أشار جل ذكره: وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ[٧٩]، وإليه أشار أيضاً بقوله تعالى: وكانَ عَرْشُهُ على الماءِ[٨٠]، وإليه أشار بقوله تعالى: عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللهِ يُفَجِّرونَها تَفْجِيراً[٨١]، وهي المسماة بالعين الكافوري والحوض الكوثر في قوله تعالى: إنَّ الأبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأسٍ كان مِزاجُها كافُوراً،[٨١] وقوله تعالى: إنَّا أعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرْ[٨٢]. وإليه نسب الخضر عليه السلام لأنه شرب منها قطرة. وبالحقيقة هي عين الولاية الأصلية ومنبع النبوة الحقيقية، وإليه أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: إنَّ لله شَراباً لأوْلِيَائه، إذا شَرِبُوا سَكَرُوا، وإذا سَكَرُوا طَرِبُوا، وإذا طَرِبُوا (طابوا، وإذا طابُوا ذَابُوا،

وإذا ذابُوا) طَلَبُوا، وإذا طَلَبُوا وَجَدُوا، وإذا وَجَدُوا وَصَلُوا، وإذا وَصَلُوا اتَّصَلُوا، وإذَا اتَّصَلُوا لا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ حَبِيبِهِمْ.

وبالحقيقة، الظلمات المشهورة عبارة عن ظلمات عالم الطبيعة ومقام الكثرة، والبعد عن هذا؛ وماء الحياة عبارة عن إخراج السالك من هذه الظلمات ووصوله إلى هذا العين التي هي عين الولاية ومقام التوحيد الحقيقي. والإسكندر والخضر في طلب هذه العين عبارة تارة عن النبي، وتارة عن الولي، ووجدان الولي دون النبي في نشأة معيّنة لا مطلقاً، لأن أمثالهم لا يطلب مثل هذه العين في الخارج بحيث يشاهدها حسّاً. وصاحب هذا المقام هو مرجع الكل ومبدؤه ومصدر الكل ومنشؤه، وهو المبدأ وإليه المنتهى، وهو المعبّر عنه أنّه «ليس وراء عبّادان قرية»، وإليه تستند كل العلوم والأعمال، وإليه منتهى جميع المراتب والمقامات نبيّاً كان أو ولياً، رسولاً كان أو وصيّاً.

ولاقتضاء هذه قال سيد الأوصياء عليه السلام في خطبة البيان ما قال، وإلى مثل هذه المرتبة أشار مولانا جعفر الصادق عليه السلام في قوله: إنَّ الصُّورَةَ الإنْسَانِيَّةَ هيَ أكْبَرُ حُجَّةِ الله على خَلْقِه، وهيَ الكِتابُ الَّذي كَتَبَهُ بيَدِه، وهيَ الهَيْكَلُ الَّذي بَناهُ بحِكْمَتِه، وَهيَ مَجْمُوعُ صُورَ العالَمينَ، وهيَ المُخْتَصَرُ منَ العُلُومِ في اللَّوْحِ المَحْفُوظ، وهيَ الشَّاهِدُ على كُلِّ غايب، وهي الحُجَّةُ على كلِّ جاحد، وهي الطَّريقُ المُسْتَقِيمُ إلى كُلِّ خَيْرٍ، وهي الصِّراطُ المَمْدُودُ بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ(٨٣).

وفي «الصافي»: روى عن الصادق عليه السلام: إنَّ الصُورَةَ الإنسانيَّةِ هيَ الطَّريقُ المُسْتَقِيمُ إلى كُلِّ خَيْرٍ، والجِسْرُ المَمْدُودُ بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ. ثم أقول: فالصراط والمار عليه شيء واحد، في كل خطوة يضع قدمه على رأسه، يعني يعمل على مقتضى نور معرفته التي هي بمنزلة رأسه، بل يضع رأسه على قدمه، يعني يبني معرفته على نتيجة عمله الذي كان

بناؤه على المعرفة السابقة حتّى يقطع المنازل إلى الله، وإلَى (الله) المَصيرُ(٨٤).

- وفي كتاب «الغيبة» للمفيد رحمه الله بإسناده في تفسير قوله تعالى: واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً ولا تَفَرَّقُوا(٨٥)، عن علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال: كانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله ذاتَ يَوْمٍ جالساً في المَسْجِدِ وأصْحَابُهُ حَوْلَهُ صلى الله عليه وآله، فقالَ لَهُمْ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ يَسْأَلُ عَمَّا يَعْنيه. قال: فطلَعَ رَجُلٌ شبيهٌ بِرِجالِ مضَرَ فَتَقَدَّمَ وسلَّمَ على رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وجَلَسَ وقالَ: يا رَسُولَ الله إنِّي سَمِعْتُ اللهَ يقُولُ: «واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَميعاً ولا تَفَرَّقُوا» فَمَا هذَا الحَبْلُ الَّذي أمَرَ اللهُ بالاعْتِصَامِ بِهِ ولا نَتَفَرَّقَ عَنْهُ؟ قال: فَأطْرَقَ صلى الله عليه وآله ساعةً ثُمَّ رَفَعَ رأسَهُ وأشارَ إلى عَليِّ بْنِ أبي طالب عليه السلام وقالَ صلى الله عليه وآله: هذا حَبْلُ اللهِ الَّذي مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ عُصِمَ في دُنْياه، ولَمْ يَضِلَّ في آخِرَتِه.

قال: فَوَثَبَ الرَّجُلُ إلى عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام واحْتَضَنَهُ مِنْ وراءِ ظَهْرِهِ وهُوَ يَقُولُ: اعْتَصَمْتُ بِحَبْلِ اللهِ وحَبْلِ رَسُولِه صلى الله عليه وآله. ثُمَّ قام فَوَلَّى وخَرَجَ. فقامَ رَجُلٌ منَ النَّاسِ فقالَ: يا رَسُولَ الله ألحَقُهُ وأسْأَلُهُ أنْ يَسْتَغْفِرَ لي؟ فقالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: إذا تَجِدُهُ مُوَفِّقاً. قال: فَلَحِقَهُ الرَّجُلُ وسألَهُ أنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ فقالَ لهُ: هَلْ فَهِمْتَ ما قالَ لي رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وما قُلْتُ لَهُ؟ قالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ، فقالَ لَهُ: إنْ كُنْتَ مُتَمَسِّكاً بِذَلِكَ الحَبْلِ فَغَفَرَ اللهُ لَكَ وإلاَّ فلا غَفَرَ اللهُ لَكَ، وتَرَكَهُ ومَضَى(٨٦).

وقد تبيَّنَ من ذلك أن الإمام عليه السلام هو الصراط المستقيم وأنّه يمشي سوياً على الصراط المستقيم، وأن معرفته معرفة الصراط المستقيم ومعرفة المشي على الصراط المستقيم، وأن من عرف الإمام عليه السلام والمشي على صراطه سريعاً أو بطيئاً بقدر نوره ومعرفته إيّاه

فاز بدخول الجنّة والنجاة من النار، ومن لم يعرف الإمام عليه السلام لم يدر ما صنع، فزلّ قدمه وتردّى في النّار.

فإذا تحقق هذا فاعلم أن هذه الولاية للحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله بالأصالة ولأمير المؤمنين عليه السلام بالوراثة، ولا يكون بعده إلا لأولاده المعصومين عليهم السلام المنصوصين من الله تعالى بالإمامة والخلافة. وهاتان المرتبتان لا تكونان قط إلا لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله والأولياء عليهم السلام اللذين جاءا واحداً عند التحقيق، وهو محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ولا يكونان لغيرهما من الأنبياء والأولياء عليهم السلام إلا بالوراثة منهما. وإلى هذا أشار القوم في اصطلاحهم بقولهم: القطبية الكبرى هي مرتبة قطب الأقطاب (وهي باطن نبوة محمّد صلى الله عليه وآله ولا تكون إلا لورثته، لاختصاصه بالأكملية، فلا يكون خاتم الأولياء وقطب الأقطاب) إلا على باطن خاتم النبوة. وقالوا أيضاً: خاتم النبوة وهو الذي ختم الله به النبوة ولا يكون إلا واحداً، وهو نبيّنا صلى الله عليه وآله، وكذا خاتم الولاية وهو الذي بلغ به صلاح الدنيا والآخرة نهاية الكمال، ويختل بموته نظام العالم، وهو المهدي الموعود في آخر الزمان صلوات الله عليه.

وحدة حقيقة أمير المؤمنين مع النبي صلى الله عليه وآله

وقد تحقّق مما تقدم أن حقيقة علي عليه السلام وحقيقة النبي صلى الله عليه وآله، واحدة، وهذا هو المطلوب من هذا البحث. وفي معرض هذا البحث (يبحث) عن كل واحد من الأئمة عليهم السلام، وورد عنهم عليهم السلام أيضاً: نَحْنُ حُجَّةُ اللهِ، ونَحْنُ بابُ اللهِ، ونَحْنُ لِسانُ اللهُ، ونَحْنُ وَجْهُ اللهِ، ونَحْنُ عَيْنُ اللهِ في خَلْقِه، ونَحْنُ ولاةُ أمرِ اللهِ في عبادِه، ونَحْنُ خَزَنَةُ عِلْمِ اللهِ، ونَحْنُ عَيْبَةُ وَحْيِ اللهِ، وَأَهْلُ دينِ اللهِ، وعَلَيْنَا نَزَلَ كِتَابُ اللهِ،

وبِنَا عُبِدَ اللهُ، ولَوْلانَا ما عُرِفَ اللهُ، ونَحْنُ وَرَثَةُ نَبِيِّ اللهِ.

روى في «كفاية الأثر» عن الصادق عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ تعالَى جَعَلَ لأخي عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام فَضايِلَ لا تُحْصَى كَثْرَةً، فَمَنْ قَرَأَ فَضيلَةً مِنْ فَضَائِلِهِ مُقِراً بِها غَفَرَ اللهُ لهُ مِنْ ذَنْبِهِ ما تَقَدَّمَ وما تَأَخَّرَ. (وفي «المجالس» بزيادة: ولَوْ وافَى القِيامَةَ بِذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ). وَمَنْ كَتَبَ فَضيلَةً مِنْ فَضَائِلِهِ لَمْ يَزَلِ المَلائِكَةُ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ما بَقِيَ لتِلْكَ الكِتَابَةِ رَسْمٌ. ومَنِ اسْتَمَعَ إلى فَضيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ غَفَرَ اللهُ لَهُ الذُّنُوبَ الَّتي اكْتَسَبَها بالسَّمْعِ. ومَنْ نَظَرَ إلى كِتابٍ مِنْ فَضَايِلِهِ غَفَرَ اللهُ لَهُ الذُّنُوبَ الَّتي اكْتَسَبَها بالنَّظَرِ. ثُمَّ قالَ صلى الله عليه وآله: النَّظَرُ إلى عَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام عِبَادَةٌ، لا يَتَقَبَّلُ اللهُ تعالى إيمانَ عَبْدٍ إلاَّ بِوَلايَتِهِ. وفي «المجالس» بزيادة: والبَرَاءَةِ مِنْ أعْدَائِهِ[٨٧].

وفي «الكافي» عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما مِنْ قَوْمٍ يَجْتَمِعُونَ يَذْكُرُونَ فَضْلَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وآلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام إلاَّ هَبَطَتْ مَلائِكَةُ السَّماءِ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ، فإذا تَفَرَّقَ القَوْمُ عَرَجَتِ المَلائِكَةُ بِما قالُوهُ، فتَأَرَّجَ أقْطَارُ السَّمَاءِ بِأَرِجٍ «إلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ»[٨٨].

وفي «تفسير الإمام عليه السلام» عند قوله تعالى: الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِراشاً، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل: لَوْ أنَّ رَجُلاً عَمَّرَهُ اللهُ تعالَى مِثْلَ عُمْرِ الدُّنْيا مائَةَ ألفِ مَرَّةٍ، ورَزَقَهُ مِثْلَ أمْوالِها مائَةَ ألْفِ مَرَّةٍ، فأَنْفَقَ أمْوالَهُ كُلَّها في سبيلِ اللهِ تعالى، وأفْنَى عُمْرَهُ صائِمٌ نَهارَهُ وقائِمٌ لَيْلَهُ لا يَفْتُرُ شَيْئاً مِنْهُ ولا يَسْأَمُ، ثُمَّ لَقِيَ اللهَ تعالى مُنْطَوِياً عَلَى بُغْضِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أوْ بُغْضِ عَلِيٍّ عليه السلام إلاَّ أكَبَّهُ اللهُ عَلَى مَنْخَرِهِ في نارِ جَهَنَّمَ، ولَرَدَّ اللهُ تعالَى (عَلَيْهِ) أعْمالَهُ وأحْبَطَها[٨٩].

ـ وفي «المجالس» عن أبي مسلم قال: خرجت مع الحسن البصري وأنس بن مالك حتى أتينا باب أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ فقعد أنس على الباب ودخلت أنا مع الحسن البصري، فسمعت وهو يقول: السلام عليك يا أمّاه ورحمة الله وبركاته، فقالت: وعليك السلام، من أنت يا بني؟ فقال: أنا الحسن البصري، فقالت: فيما جئت يا حسن؟ فقال: لتحدثيني بحديث سَمِعْتِهِ من رسول الله ﷺ في علي بن أبي طالب عليه السلام، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: والله لأحدثنّك بحديث سَمِعَتْهُ أذناي من رسول الله ﷺ وإلا فصمتا، ورأته عيناي وإلا فعميتا، ووعاه قلبي وإلا فطبع الله عليه، وأخرس لساني إن لم أكن سمعت من رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: يا عَلِيٌّ ما مِنْ عَبْدٍ لقِيَ اللهَ يَوْمَ يَلْقاهُ جاحِداً لِوَلايَتِكَ إلاَّ لَقِيَ اللهَ بِعِبَادَةِ صَنَمٍ أوْ وَثَنٍ.

قال: فسمعت الحسن البصري وهو يقول: الله أكبر أشهد أنّ علياً عليه السلام مولاي ومولى المؤمنين. فلمّا خرج قال أنس بن مالك: مالي أراك تكبّر؟ قال: سألت أمنّا أم سلمة أن تحدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ في عليٍّ عليه السلام، فقالت لي كذا وكذا، فقلت: الله أكبر، أشهد أن علياً عليه السلام مولاي ومولى كل مؤمن. فسمعت عند ذلك أنس بن مالك وهو يقول: أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال هذه المقالة ثلاث مرات أو أربع مرات(٩٠).

وفي «المجالس» عن سلمان الفارسي رحمه الله قال: مر ابليس بنفر يتناولون أمير المؤمنين عليه السلام، فوقف أمامهم، فقال القوم: من الذي وقف أمامنا؟ قال: أنا أبو مرة، فقالوا: يا أبا مرة أما تسمع كلامنا؟ فقال: سواة لكم، تسبّون مولاكم علي بن أبي طالب! فقالوا له: من أين علمت أنه مولانا؟ فقال: من قول نبيّكم: مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ.

فقالوا له: أنت من مواليه وشيعته؟ فقال: ما أنا من مواليه ولا من شيعته ولكن أحبّه، ولا يبغضه أحد إلا وشاركته في المال والولد. فقالوا له: يا أبا مرة فتقول في علي شيئاً؟

فقال لهم: اسمعوا منّي معاشر الناكثين والقاسطين والمارقين، عبدت الله عز وجل في الجان اثني عشر ألف سنة، فلمّا أهلك الله الجان شكوت إلى الله عز وجل الوحدة، فعرج بي إلى سماء الدنيا، فعبدت الله تعالى فيها اثني عشر ألف سنة أخرى في جملة الملائكة، فبينا نحن كذلك نسبّح الله عز وجل بذات جلاله ونقدسه إذ مر بنا نور شعشعاني، فخرت الملائكة لذلك النور سجّداً، فقالوا: سبّوح قدوس، نور ملك مقرب أو نبي مرسل. فإذا النّداء من قبل الله عزّ وجلّ: لا نور ملك مقرب ولا نبي مرسل، هذا نور طينة علي بن أبي طالب عليه السلام (٩١).

وفي «السرائر» لمحمد بن ادريس مستطرفاً من «جامع» البزنطي، عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما مِنْ نَبِيٍّ ولا آدَمِيٍّ ولا إنْسِيٍّ ولا جِنِّيٍّ ولا مَلَكٍ في السَّمَاوَاتِ إلاَّ ونحنُ الحُجَجُ عَلَيْهِمْ، وما خَلَقَ اللهُ خَلْقاً إلاَّ وقدْ عَرَضَ ولايَتَنا عَلَيْهِ واحْتَجَّ بِنَا عَلَيْهِ، فَمُؤْمِنٌ بِنَا، وكافِرٌ جاحِدٌ حتَّى السَّمَاواتِ والأَرْضِ والجِبَالِ. الحديث(٩٢). تأمّل فيه تجد اللطائف من معانيه.

وفي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام: ورَبُّ هَذِهِ البَنِيَّةِ ورَبُّ هذه الكَعْبَةِ. ثلاث مرات. لَوْ كُنْتُ بَيْنَ مُوسَى وخِضْرٍ عليهما السلام لأَخْبَرْتُهُمَا أنِّي أعْلَمُ مِنْهُمَا، ولأَنْبَأْتُهُما بِمَا لَيْسَ في أيْدِيهِما(٩٣).

في أفضلية الأئمة

قال في «جامع الأسرار» وهو للسيد حيدر الآملي: «والّذي اتّفق أصحابنا الشيعة (عليه) هو أن أمير المؤمنين عليه السلام أعظم من جميع الأنبياء والأولياء بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله، وأولاده المعصومون كذلك. وهو عند التحقيق ليس إلا هذا (المعنى) يعني مرتبة هؤلاء الأئمّة من حيث الولاية أعظم من مرتبة هؤلاء الأنبياء والرسل من حيث الولاية (لا غير)، ولا شك أنه كذلك، وإلا فمرتبة النبوة والرسالة أعظم من أن يكون فوقهما مرتبة، دنيا وآخرة، ولهذا كان الأوصياء والأولياء دائماً محتاجين إلى الأنبياء والرسل في القوانين الشرعية والأحكام الإلهية، كقول علي عليه السلام مثلاً: تَعَلَّمْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَلْفَ بابٍ مِنَ العِلْمِ فَفُتِحَ لي بِكُلِّ بابٍ أَلْفُ بابٍ[٩٤]، وغير ذلك من الأخبار.

وإن تحققت عرفت أن إلحاد الإسماعيلية ما كان إلا لإلحادهم عن هذا المقام وعدولهم عن هذه المرتبة، وكذلك النصيرية، (لأن الإسماعيلية) لمّا شاهدوا أن الباطن أعظم من الظاهر، وتحققوا أن الباطن (له) مرتبة الولاية، والظاهر (له) مرتبة النبوة، وعرفوا احتياج الظاهر إلى الباطن من جميع الوجوه ذهبوا إلى أن الأولياء أعظم من الأنبياء، وأن علياً عليه السلام أعظم من نبيّنا صلى الله عليه وآله، حتّى وقعوا فيما وقعوا، نعوذ بالله منهم ومن تابعيهم.

وأيضاً لما شاهدوا منه أمراً لا يمكن أن يصدر من نبي ولا رسول ولا بشر مطلقاً قالوا بإلهيّته، وكفروا به. ولو عرفوا أن هذه الأفعال من خواص الولاية، وأن هذه الولاية حاصلة (له) بالوراثة والخلافة من الله ومن رسوله، لما ذهبوا إلى ما ذهبوا ولا وقعوا فيما وقعوا. والحق في

هذا المقام ما قلناه أولاً وهو أن الولي لا يكون أعظم من النبيّ والرسول إلا من حيث الولاية فقط، وإلا فالنبوة والرسالة أعظم من أن ينال أحد مرتبتهما غير النبي والرسول. وإذا لم يمكن حصول مرتبتهما لغيرهما فكيف يمكن التفوق عليهما؟»[٩٥] انتهى.

أقول: مضافاً إلى ما تقدم أن ما تفوّه به خلاف صريح الأخبار المتقدمة والآتية المتواترة. والّذي يعتقده العبد الضعيف في هذه المسألة، ويرجو الزلفى عند الباري تعالى وأن يثبّتني الله تعالى عليه إلى يوم البعث والنشور: أن بعد سيد البشر وخاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ليس في دايرة الإمكان أحد من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين أفضل وأشرف وأعلم وأقرب منزلة عند الله تعالى من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما ينطق بذلك الأخبار المتواترة، مضافاً إلى ما تحقق من أنّه الولي الأعظم والقطب الأعلم، وسيأتي أيضاً زيادة توضيح لذلك، وتقدم من كلام محيي الدين أيضاً. ثم بعده صلوات الله عليه أولاده المعصومون عليهم السلام سادات الخلق أجمعين.

قال في «تأويل الآيات الظاهرة في فضايل العترة الظاهرة» - وفي حقّ مصنّفه قال في «البحار»: هذا الكتاب للشيخ شرف الدين النجفي، وقال: ذكر النجاشي بعد توثيقه: إن له كتاب «ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام». وقال الشيخ محمد بن الحسن العاملي: الشيخ شرف الدين النجفي كان فاضلاً محدثاً صالحاً، له كتاب «الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة»[٩٦]. والحاصل أنّه قال في هذا الكتاب - بعد ذكر نبذ من الأخبار في تفضيل الأئمّة الأطهار عليهم السلام: «فانظر بعين البصر والبصيرة إلى ما فيه من تفضيل محمد وآله الطاهرين على كافة الخلق أجمعين من الأولين والآخرين ما فيه كفاية للمتدبر وتبصرة للمستبصر. جعلنا الله وإياك من المهتدين بولايتهم،

الداخلين في زمرتهم، الناجين في سفينتهم، الفائزين بشفاعتهم وبجاههم عند ربّهم العظيم»[٩٧] انتهى.

قال في «شرح الصحيفة» عند ترجمة: يا مَنْ خَصَّ مُحَمَّداً وآلهُ بالكَرَامَة: يستفاد من هذه الكلمات المذكورة في هذا الدعاء أفضلية النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام على جميع الأنبياء، أولى العزم وغيرهم. أما النبي ﷺ فلا خلاف في أفضليته مطلقاً. وأمّا مولانا أمير المؤمنين وأولاده المعصومون عليه وعليهم السلام فمن أصحابنا من ساواهم بأولي العزم، ومنهم من توقف. وبالجملة الخلاف إنّما بينهم وبين أولي العزم، وإلا فلا خلاف في أفضليتهم على باقي الأنبياء عليهم السلام. وذهب أهل الحديث إلى أفضليتهم، وهو الحق الّذي دلّت عليه الأخبار، وما صح من قوله ﷺ: عليٌّ خَيْرُ البَشَرِ، مَنْ أَبَى فَقَدْ كَفَرَ[٩٨] دالاً عليه.

وأمّا التفاضل بينهم، فقد صح الأخبار عنهم عليهم السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام والحسنين عليهما السلام أفضل من باقي الأئمّة عليهم السلام. والوجه فيه ظاهر سيّما بالنظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فإن بسيفه انتظم الدين وهزم المشركين، ولو لم يكن له إلا ضربة (عمرو بن) عبد ود التي رجحت عبادة الثقلين إلى يوم القيامة لكفى به شرفاً. وأفضليته على سائر الخلق سوى ابن عمّه ﷺ، فإنّه عليه السلام لمّا أثنى على نفسه قال: أنَا عَبْدٌ مِنْ عبيدِ مُحَمَّدٍ ﷺ[٩٩]، والمراد كما قال الصدوق - رحمه الله - عبد طاعة لا عبد رق. وأمّا الحسنان عليهما السلام فقد نص النبيّ ﷺ على إمامتهما مشافهة، وكانا يشاهدان الوحي، وفي بيتهم نزل، وخصهما جدهما من الفضائل والكرامات ما لم يشاركهما به أحد.

بقي الكلام في التسعة الأطهار عليهم السلام، فالوارد في بعض الأخبار:

تسْعَةُ أئمَّة هُمْ في الفَضْلِ سواء[100]. وفي البعض الآخر: تِسْعَةٌ أَفْضَلُهُمْ قائِمُهُمْ[100]. ولمّا كانت الأخبار ظاهرة المعارضة أولنا الأخبار السابقة بأن يكون معنى قولهم: «في الفضل سواء» أنّهم تساووا بالأفضلية على غيرهم، وهو لا يستلزم المساواة بينهم. ولعل الوجه في أفضليّة القائم عليه السلام أنّه في عصره من الجهاد والتعب في نظام الدين مثل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في زمانه». انتهى.

وفي «اللوامع» في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ذكر في بيان الفقرة التالية ودعائم الأخيار: «كما دلت الأخبار المتواترة على أن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله هو أفضل المخلوقات، ومن بعده المرتضى صلوات الله عليه، ومن بعده بقية أئمة الهدى عليهم السلام الذين هم أفضل الكائنات. وفي تفضيل البعض على الآخر وقع الاختلاف. فمنهم من فضّل على قدر الأعمال. ومنهم من قال بالتساوي بينهم باستثناء صاحب الزمان ـ عليه وعلى جده وآبائه صلوات الرحمان ـ كما دلت على ذلك الأخبار، ومنهم من قال بالتساوي، ومنهم من توقف وهو الأحوط»[101]. انتهى.

يا عزيزي! كيف لنا ونحن عديمو البصيرة وخفافيش الليل أن ندرك شمس الإمامة وشعاع ضوئها الذي طلع فوق الرسالة وأولي العزم.

روي في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام: الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فنبي منبأ في نفسه لا يعدو غيرها. ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة، ولم يبعث إلى أحد، وعليه إمام، مثلما كان إبراهيم على لوط عليه السلام، ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك، وقد أرسل إلى طائفة قلوا أو كثروا، كيونس عليه السلام قال الله تعالى: «وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون» قال: يزيدون ثلاثين ألفاً، وعليه إمام. والذي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل أولي العزم، وقد كان إبراهيم عليه السلام

نبياً وليس بإمام حتى قال الله تعالى له: «إني جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين» من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً».

وفي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام: إنَّ اللهَ اتَّخَذَ إبْراهيمَ عليه السلام عَبْداً قَبْلَ أنْ يَتَّخذَهُ نَبياً، وإنَّ اللهَ اتَّخَذَهُ نَبيّاً قَبْلَ أنْ يَتَّخذَهُ رَسُولاً، وإنَّ اللهَ اتَّخَذَهُ رَسُولاً قَبْلَ أنْ يَتَّخذَهُ خَليلاً، وإنَّ الله اتَّخَذَهُ خليلاً قَبْلَ أنْ يَجْعَلَهُ إماماً، فلَمَّا جَمَعَ لهُ الأشْياءَ قالَ: «إنِّي جاعلُكَ للنَّاسِ إماماً». قال: فَمِنْ عِظَمِها في عَيْنِ إبراهيمَ قالَ: و «مِنْ ذُرِّيَّتي، قال لا يَنال عَهْدِي الظَّالِمِينَ» قال: لا يَكُونَ السَّفيهُ إمامَ التَّقِيِّ. ومثله في «الكافي» عن أبي جعفر عليه السلام(١٠٣).

وفي «العيون» عن علي بن موسى الرضا عليه السلام: إنَّ الإمامَةَ أجَلُّ قَدْراً، وَأعْظَمُ شأناً، وأعْلَى مَكاناً، وأمْنَعُ جانِباً، وأبْعَدُ غَوْراً مِنْ أن يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ، أو يَنَالُو (ها) بآرائِهِمْ، أو يُقِيمُوا إماماً باخْتِيارِهِمْ. إنَّ الإمامَةَ خَصَّ اللهُ عزَّ وجَلَّ بها إبْراهيمَ الخَليلَ عليه السلام بَعْدَ النُّبُوَّةِ والخُلَّةِ مَرْتَبَةً ثالثَةً، وفَضيلَةً شَرَّفَهُ بِها وأشَادَ بِهِ ذِكْرَهُ، فقالَ عَزَّ وجَلَّ: «إنِّي جاعلُكَ للنَّاسِ إماماً» فقالَ الخَليلُ سُروراً بها: «وَمِنْ ذُرِّيَّتي، قال لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمينَ». فبَطَلَتْ بِهَذِهِ الآيَةِ إمامَةُ كُلِّ ظالِمٍ إلى يَوْمِ القِيامَةِ، وصارَتْ في الصَّفْوَةِ(١٠٤).

وفي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ» قال: طاعَةُ اللهِ تعالَى ومَعْرِفَةُ الإمامِ عليه السلام(١٠٥).

وفي «تأويل الآيات» في تفسير قوله تعالى: «وَلَوْ أنَّ ما في الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ، والبَحْرُ يمدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ»: في «الاحتجاج»: إن يحيى بن أكثم سأل مولانا أبا الحسن

العسكري عليه السلام عن مسائل، منها تأويل هذه الآية، فقال يحيى: ما هذه السبعة أبحر؟ وما الكلمات التي لا تنفد؟ فقال له الإمام عليه السلام: ألأبحرُ فَهِيَ عَيْنُ الكبريت وعَيْنُ اليَمَنِ وَعَيْنُ البَرَهُوت وعَيْنُ طَبَرِيَّةَ وعَيْنُ ماسيدانَ وَجَمَّةُ إفْرِيقيَّةَ وعَيْنُ مابَرْوانَ. وأمَّا الكَلِماتُ الَّتي لا تَنْفَدُ: عُلُومُنا، ولا تُدْرَكُ فَضَائِلُنا ولا تُسْتَقْصَى(١٠٦).

ويطابقه قول الله عز وجل: فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ(١٠٧)، وقوله تعالى: وإذِ ابْتَلَى إبْراهيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ».(البقرة:١٢٣).

أيها العزيز! فإذا علمت مرتبة الإمام، فاعلم أن حراسة النبوة في الظاهر وفي الباطن إلى الإمام، فكان الإمام عليه السلام مفتاحاً لظفره. وأمّا حراسته المعنويّة فلأنّه عليه السلام قطب الوقت، وقيام الوجود ونظامه كلّه ببقائه ووجوده. ويدل على ذلك أن أهل الأخبار رووا أنّه دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً في المسجد شخص له صوت جهوري مثل دوي الرحى، وعيناه كشعلتي النار، فخاف أهل المسجد منه وارتاعوا لصورته وهول خلقته، فبينا هو يحدث النبي صلى الله عليه وآله في حوائجه وإذا بعلي عليه السلام قد دخل المسجد. فلمّا رآه ذلك الشخص ذهل عقله وطار لبّه وتقرفص منه وصار يزعق زعيقاً عالياً خوفاً منه. فقال له النبي صلى الله عليه وآله: لا بأس عليك، لا تخف فإنك آمن منه، ما لك ولهذا المقبل وما الذي أزعجك منه، حدِّثنا بقصّتك معه.

فقال: إنّي كنت من النماردة الفراعنة المتمردين على عصر سليمان بن داود عليه السلام، فخرجت ليلة أنا وأصحاب لي وكنّا في عشرين نمروداً وكنت أنا رئيسهم، خرجنا لاستراق السمع، فلمّا علونا في الهواء وقربنا من السماء إذا بهذا الرجل قد انقضّ علينا وبيده شهاب من نار، فلمّا عارضنا تفرقنا خوفاً منه. ثم أنه عارضني وصوّب إليّ، فقحمت البحر على رأسي عجلاً خوفاً منه، فانقضّ عليّ فعارضني قبل أن

أصل البحر ورماني بشعلة منه، فأصابني ووقعت على قعر البحر. ثم أنه كشف عن فخذه فإذا في عضيلته كالنهر أو كالخندق العظيم.

فتبسم النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال ﷺ: إن الله تعالى قد وكّل علي بن أبي طالب عليه السلام بحراسة أهل الأرض وحراسة أهل السماء. ثم أن علياً عليه السلام جاء حتى جلس بحذاء النبي ﷺ فصار ذلك الرجل ينظر إليه شزراً خوفاً منه، فقال له النبي ﷺ: لا بأس عليك تكلم بحاجتك. فقضى له حوائجه وانصرف[١٠٨].

أقول: هذا جزئي مما قال النبي ﷺ في حقّه: يا عليّ كُنْتَ مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ باطِناً، وصِرْتَ معي ظاهِراً[١٠٩]. وهكذا كان قيامه بمهام الرسالة، ولذا ورد في أخبار صحيحة أنّه ﷺ آية النبوة، وأنّه عليه السلام قال: عليٌّ عليه السلام ناصِرِي ومُعيني[١١٠]، وقال ﷺ: يا عليّ إنّي مُحْتاجٌ إلَيْكَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ[١١١]. وسيأتي إن شاء الله في أخبار عديدة أنّه ليس لله آية أكبر من علي عليه السلام، وما وقع النبي ﷺ في شدة إلا وقال: أين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فيجيبه بالتلبية، فينفذه في مهمّة فيكشف عنه همّه، ويجلّي غمّه، كما يشهد بذلك: نادِ عليّاً مَظْهَرَ العجَايِبِ[١١٢]. إلى آخر، وكان دائماً بين يديه في جميع حوائجه وأموره لا يغيب عنه في شيء، ولهذا قال عليه السلام: كُنْتُ أتَّبِعُهُ كَمَا يَتَّبِعُ الفَصِيلُ أمَّهُ[١١٣].

وكل من عرف أحواله معه علم يقيناً أنّه القائم بجميع مهمات الرسالة، والمتحمل لأعبائها. كيف لا يكون كذلك والولاية المطلقة من أعلى درجات الكمال الذي لا نهاية له ولا مرتبة بعده إلا الألوهية؟ لأن مرتبة الولاية المطلقة هي المرتبة الجامعة لجميع المراتب، وقد تقرر في الإشراقيات أنه لا بد عند تمام النشأة الكونية الجرمية المادية من ختمها بالنسخة الجامعة لجميع خواص العوالم الجرمية وغيرها

المسمّاة بالعالم الصغير الذي هو النسخة المختصرة من العالم الكبير. وإذا كانت هذه المرتبة مشتملة على هذه النسخة الكلية المشتملة على جميع خواص العالم بجملته لا جرم وجب أن يكون هناك شخص هو أكمل جميع أشخاص النوع من عالم الجرم وأتمّه وأعدله، فوجب بطريق العناية الإلهيّة وترتيب العوالم الحاصل على النظام الأتم أن يكون النفس المدبّر لهذا الجرم الكامل الحاوي لمراتب الاعتدال أشرف النفوس وأكملها وأفضلها؛ ولهذا سمّوها بالنفس الكلية، بل هي في الحقيقة عقلاً كاملاً باعتبار توقف نشأة العوالم عليها بطريق العلة الغائية، لأنّها منتهى غاية الغايات وآخر درجات النهايات، فكانت مقدمة بالاعتبار العقلي وإن كانت متأخرة في الوجود العقلي.

وهي حينئذٍ العقل الأول والعقل (الكلي وعقل) الكل، فكانت حينئذٍ مرتبة النبوة المنشعبة عنها - أي عن مرتبة الولاية الخاصة - أعلى وأشرف وأفضل من جميع العوالم العقلية والنفسية والجرمية، فإن ابتداء نشأة التكوين بالعالم الاختراعي الذي هو عالم العقل المشار إليه في قوله: أوَّلُ ما خلَقَ اللهُ العَقْلُ، ثم نزل إلى عالم النفس على مراتبه، فيسمّى هذين العالمين عالم الإبداع وعالم الغيب وعالم الأنوار. ثم نزل إلى عالم التكوين والتسطير، فهو عالم الجرم المسمّى بعالم الشهادة مبدأ المحيط الأعلى الذي هو أشفّها وأسرعها حركة، والمحيط بجميعها، وآخره فلك القمر. ثم نزل منه إلى عالم العناصر المسمى بعالم الكون والفساد، من أمهاته إلى مواليده المعدنية والنباتية والحيوانية على مراتبها. ثم نزل منها إلى عالم الألف الظاهر بصورة الألف، وهو النسخة الجامعة أحسن الصور وأبدعها وأتمّها الحاوي لجميع العوالم المتقدمة، المشتمل على جميع خواصها، المسمى بالعالم الصغير والإنسان الصغير، المشار إليه في قوله تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا

الإنسانَ في أحْسَنِ تَقْويمٍ.

وفيه قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

أتَحْسَبُ أنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرْ
وفيكَ انْطَوَى العالمُ الأكْبَرُ
وأنْتَ الكِتابُ المُبينُ الَّذي
بِأحْرُفِهِ يَظْهَرُ المُضْمَرُ
فلا حاجَةٌ لَكَ مِنْ خارِجٍ
يُخَبِّرُ عنْكَ بِما تَسْطُرُ
فإنْ كُنْتَ تَعْرِفُ جُلَّ الرُّمُوزِ
فَجِسْمُكَ لَوْحٌ بِهِ أسْطُرُ
وَأنْتَ الوُجُودُ ومِنْكَ الوُجُودُ
وما فيكَ مَوْجُودٌ لا يَحْصُرُ

فكان هو الخاتم لتلك العوالم، والمكمّل لجميعها، والمشتمل على جميع ما فيها من الكمالات، أمّا فعلاً كما في الأنبياء عليهم السلام والكاملين من أتباعهم، أو قوة كما في باقي أشخاصها، فكان بذلك أشرف الكائنات وأفضل المخلوقات.

فالعالم هو صورة الحقيقة الإنسانيّة، وذلك لأن اسم «الله» مشتمل على جميع الأسماء، (ومتجلّ فيها بحسب مراتبها الإلهية ومظاهرها، وهو مقدم بالذات والمرتبة على باقي الأسماء، فمظهره أيضاً مقدم على المظاهر كلّها) ومتجلّ فيها بحسب مراتبه، فلهذا الاسم بالنسبة إلى غيره من الأسماء اعتباران: أحدهما ظهور ذاته في كل واحد من الأسماء. والثاني اشتماله عليها كلها من حيث المرتبة الإلهية. فبالأول يكون مظاهرها كلها مظهر هذا الاسم الأعظم لأن الظاهر والمظهر في الوجود شيء واحد لا كثرة فيه ولا تعدد، وفي العقل يمتاز كل منهما

عن الآخر. كما يقول أهل النظر: إن الوجود عين المهيّة في الخارج، وغيرها في العقل، فيكون اشتماله عليها اشتمال الحقيقة الواحدة على أفرادها المتنوعة. وبالثاني يكون مشتملاً عليها من حيث المرتبة الإلهية اشتمال الكل المجموعي على الأجزاء التي هي عينه.

فعلم من ذلك أن حقائق العالم في العلم والعين كلها مظاهر الحقيقة الإنسانية التي هي مظهر لاسم «الله». فأرواحها أيضاً كلها جزئيات الروح الأعظم الإنساني سواء كان روحاً عليّاً أو عنصرياً أو حيوانياً، وصور تلك الحقيقة ولوازمها، ولذلك يسمى العالم المفصل بالعالم الكبير، لظهور حقيقة الإنسانية فيه. ولهذا الاشتمال وظهور الأسماء الإلهيّة كلها فيها دون غيرها استحقّت الخلافة من بين الحقائق كلها.

فأول ظهورها في صورة العقل (الأول) الذي هو صورة إجمالية للمرتبة العمائية، ثم صورة باقي العقول والنفوس الناطقة الفلكية وغيرها، وصورة الطبيعة والهيولى الكلية، والصورة الجسمية البسيطة والمركّبة بأجمعها، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام أَنَا نُقْطَةُ باءِ بسمِ الله، أنَا جَنْبُ الله الَّذي فَرَّطْتُمْ فيه، وأنَا اللَّوْحُ، وأنَا القَلَمُ، وأنَا العَرْشُ، وأنَا الكُرْسِيُّ، وأنَا السَّماواتُ السَّبْعُ والأرَضُونَ[114]. فلمّا صحا في أثناء الخطبة وارتفع عنه حكم تجلّي الوحدة ورجع إلى عالم البشرية وتجلّى له الحق بحكم الكثرة، شرع معتذراً فأقرّ بعبوديّته وضعفه وانقهاره تحت أحكام الأسماء الإلهية.

ولذلك قيل: إن الإنسان الكامل لا بد أن يسري في جميع الموجودات كسريان الحق فيها. وذلك (في) السفر الذي من الحق إلى الخلق بالحق، وعند هذا السفر يتمّ كماله، وبه يحصل له حق اليقين من المراتب الثلاث. ومن هنا تبيّن أن الأخرية عين الأولية، ويظهر سرّ هُوَ

الأوَّلُ والآخِرُ والظّاهِرُ والباطِنُ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم[١١٥].

وفي «الفتوحات»: «إن الكامل الذي أراد الله أن يكون قطب العالم وخليفة الله فيه إذا وصل إلى العناصر منزلاً إلى السفر الثالث ينبغي أن يشاهد جميع ما يريد أن يدخل في الوجود من الأفراد الإنسانية إلى يوم القيامة، وبذلك الشهود أيضاً لا يستحق المقام حتى يعلم مراتبهم أيضاً»[١١٦].

فإذا علمت أن للحقيقة الإنسانية ظهورات في العالم الكبير تفصيلاً، فاعلم أن لها أيضاً ظهورات في العالم الإنساني إجمالاً، وأول مظاهرها فيه الصورة الروحية المجردة المطابقة بالصورة العقلية، ثم الصورة القلبية المطابقة بالصورة التي للنفس الكلية (ثم الصورة التي للنفس الحيوانية المطابقة بالطبيعة الكلية) وبالنفس المنطبعة الفلكية وغيرها؛ ثم الصورة الدخانية اللطيفة المسماة بالروح الحيوانية عند الأطباء المطابقة بالهيولى الكلية؛ ثم الصورة الدموية المطابقة لصورة الجسم الكلي؛ ثم الصورة الأعضائية المطابقة لأجسام العالم الكبير. وبهذه التنزلات في المظاهر الإنسانية حصل التطابق بين النسختين، ولهذا سمّي بالعالم الصغير، فهو كتاب (واحد) مشتمل على الكتب والصحف، لأنه من حيث روحه الجزئي وعقله المجرد كتاب عقلي مسمى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه اللوح المحفوظ والكتاب المبين، ومن حيث نفسه المنطبعة الطبيعية كتاب المحو والإثبات، ومن حيث جسده وبدنه الكتاب المسطور، ومن حيث مجموعيته نسخة الكل وجامع الكل. فهو كتاب جامع للكل، كاف في مطالعة الكل والمشاهدة له تحت آياته وكلماته.

وليس بعجب أن الكل فيه وأنه جامع الكل، بل العجب أن الكل خلق لأجله، والكل خادم له وهو مخدوم الكل، والكل ساجد له وهو مسجود الكل، (لأنه) مظهر الذات المقدسة وكمالاتها المرتّبة عليها، والعالم

مظهر للأسماء والصفات والأفعال المرتّبة على الذات. قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

دواؤُك فـــيك ومـــا تشـــعـــر
وداؤُكَ منك ولا تبـــصـــر
وتزعم أنّك جـــرم صـــغـــيـــر
وفـــيك انطوى العـــالم الأكـــبـــر
وأنت الكتـــــاب المبين الذي
بأحـــرفـــه يظهـــر المضـــمـــر
وأنت الوجـــود ونفس الوجـــود
ومـــا فـــيك مـــوجـــود لا يحـــصـــر

فليس إنسان أتم منه في مشاهدة الحق ومشاهدة أسمائه وصفاته وأفعاله بعد الكتاب الأفاقي، والكتاب الأفاقي لولاه فيه لم يكن له هذه المراتب، لأن شرفه وفضله ليس إلا به. وفي الحديث القدسي: لا يَسَعُنِي أرضي ولا سمائي ولكِنْ يَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِي المُؤْمِنِ[117]. وفيه إشارة إلى أنّه مع الإنسان بالذات والوجود، ومع العالم بالأسماء والصفات. فافهم ذلك وكن من الشاكرين، ولا تكن من الجاهلين الغافلين، والحمد لله رب العالمين.

منكر فضل الإمام عليه السلام

أيها العزيز! حذار من إنكار فضائل الأئمة وردّ الأخبار الواردة بشأن فضائلهم في هذه الأوراق، فإن هذا كفر.

وفي «بصائر الدرجات» عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ حَديثَ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لا يُؤْمِنُ

به إلاّ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ او نَبيٌّ مُرْسَلٌ اوْ عَبْدٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ للإيمان، فما وَرَدَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَديث آلِ مُحَمَّد ﷺ فلانَتْ لَهُ قلوبُكُمْ وعَرَفْتُمُوهُ فاقْبَلُوهُ، وما اشْمَأَزَّتْ (منهُ) قُلُوبُكُمْ وانْكَرْتُمُوهُ فَرُدُّوهُ إلى الله وإلى الرَّسُولِ وإلَى العالِمِ مِنْ آلِ مُحَمَّد ﷺ، وإنَّمَا الهالكُ إذا حُدِّثَ أحَدُكُمْ بشَيْءٍ (مِنْهُ) لا يَحْتَمِلُهُ فيقُولُ: واللهِ ما كانَ هذا. والإنْكَارُ هوَ الكُفْرُ(١١٨).

ونحوه روى في «الخرايج»(١١٩) وفي «مشارق الأنوار» روى عن النبي ﷺ انّه قال: مَثَلُ أهْلِ بَيْتِي كَسَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَها نَجَا - إلى أن قال عليه السلام - الجاحِدُ لِولايَتِنا كافِرٌ، والجاحِدُ لِفَضْلِنا كافِرٌ. ووجهه واضح، لأنّه لا فرق بين جحود الولاية وجحود الفضل، وجحود النبوة والربوبيّة، كما تقدم وسيجيء ذلك في أخبار عديدة، فإن جحود كل واحد من هذه الثلاثة يستلزم جحود الآخر، والإقرار بكل واحد يستدعى الإقرار بالآخر(١٢٠).

وفي «الكافي» و «بصائر الدرجات» في عدة أخبار عنهم عليهم السلام: التَّوْحِيدُ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، عَلِيٌّ وليُّ اللهِ(١٢١). فظهر أن التوحيد الحقيقي هذه الثلاثة.

وفي «المحاسن» عن الكاظم عليه السلام: لا تَقُلْ لِما بَلَغَكَ عَنَّا اوْ نُسِبَ إلَيْنَا: هذا باطِلٌ. وإنْ كُنْتَ تَعْرِفُ خِلافَهُ فإنَّكَ لا تدْرِي لِمَ قُلْنا وعَلَى أيِّ وَجْهٍ وصِفَةٍ(١٢٢).

وفي «العلل» عن أحدهما عليهما السلام: لا تُكَذِّبُوا بحَديث أتاكُمْ (بِهِ) مُرْجِيءٌ ولا قَدَرِيٌّ ولا خارجيٌّ نَسَبَهُ إلَيْنا، فإنَّكُمْ لا تَدْرُونَ لَعَلَّهُ شَيء مِنَ الحَقِّ، فَتُكَذِّبُوا اللهَ عزَّ وجَلَّ فَوْقَ عرشِهِ(١٢٣).

وعن الصادق عليه السلام: إنَّ عندَنَا والله سِرّاً مِنْ أسرارِ الله، وعِلْماً مِنْ عِلْمِ الله، والله لا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ولا مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ للإيمانِ(١٢٤).

وفي «الجرايح» في الباب السادس عشر في نوادر المعجزات: «فإن هذه أحاديث هائلة مهولة، وأنّها من المشكلات التي تهافت فيها العقول لكونها من المعضلات. وقد كان الشيخ الصدوق سعد بن أبي خلف الأشعري ذكرها في كتاب «البصاير» وأوردها الشيخ الفقيه محمد بن الحسن الصفار في كتاب «بصائر الدرجات» وكلاهما لم يكونا قالياً ولا غالياً»[١٢٥]. ثم ذكر رحمه الله أحاديث: إنَّ حديثَ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ ـ الحديث. وقد تقدم مستفيضاً بل متواترة.

ثم روى في «الخرايج» عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: أتى الحُسَيْنَ عليه السلام أناسٌ فقالوا لهُ: يا أبا عَبْد الله حدِّثنا بِفَضْلِكُمُ الذي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ. فقالَ: إنَّكُمْ لا تَحْتَمِلُونَهُ ولا تُطيقُونَهُ. قالُوا: بلى، قال: إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ فَلْيَتَنَحَّ اثْنانِ وأحَدِّثْ واحداً، فإنِ احْتَمَلَهُ حَدَّثْتُكُمْ. فَتَنَحَّى اثْنانِ وحَدَّثَ واحداً، فقامَ طائِرَ العَقْلِ فَمَرَّ على وجْهِهِ وذَهَبَ، فَكَلَّمَهُ صاحِباهُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِما جواباً.

قال: وبهذا الإسناد قال: أتى رَجُلٌ الحُسَيْنَ بنَ عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام فقال: حَدِّثْني بِفَضْلِكُمُ الَّذي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ، قال: إنَّكَ لَنْ تُطيقَ حَمْلَهُ، قال: بَلَى حدِّثني يا بْنَ رَسُولِ الله احْتَمِلُهُ. فحَدَّثَهُ الحُسَيْنُ عليه السلام بحديث. قال: فَمَا فرغَ الحُسَيْنُ عليه السلام حتَّى ابيَضَّ رأسُ الرَّجُلِ ولحْيَتُهُ وأُنْسِيَ الحديثَ. فقالَ الحُسَيْنُ عليه السلام أدْرَكَتْهُ رَحْمَةَ اللهِ حيْثُ نَسِيَ الحديثَ[١٢٦].

ثم ذكرت الأخبار الواردة أنّهم أفضل من الأنبياء عليهم السلام وأن علم الكتاب كله عندهم. ثم قال: فإذا كان ذلك كذلك فكل حديث رواه أصحابنا ودوّنه مشايخنا (رحمهم الله) في معجزاتهم ودلائلهم لا يستحيل في مقدورات الله تعالى يفعله تأييداً لهم ولطفاً للخلق، فإنّه لا يطرح بل يتلقّى بالقبول»[١٢٧]. انتهى.

فضائل الأئمة عليهم السلام في الأخبار

فإذا عرفت أن إنكار فضائلهم كفر، فيجب أن تُتلقّى بالقبول. فها أنا ذا أشرع في ذكر ما ورد في فضائلهم من الأخبار، مستمداً ببواطنهم القدسية.

وفي «العيون» في حديث طويل: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، مَنْ قَتَلَكَ فَقَدْ قَتَلَني، ومَنْ أبْغَضَكَ فَقَدْ أبْغَضَني، ومَنْ سَبَّكَ فَقَدْ سَبَّني، لأنَّكَ مِنّي كَنَفْسي، رُوحُكَ مِنْ رُوحي، وطينتُكَ مِنْ طِينَتي، إنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالى خلَقَني وإيَّاكَ، واصْطَفاني وإيَّاكَ، واخْتارَني لِلنُّبُوَّةِ، واخْتارَكَ للإمامَةِ، فَمَنْ أنْكَرَ إمامَتَكَ فَقَدْ أنْكَرَ نُبُوَّتي(١٢٨).

وفي «العيون» عن الرضا عليه السلام في جملة حديث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ عليّاً مَخْلُوقٌ مِنْ طينَتي، وكُنْتُ أنَا وَهُوَ (مِنْ) نُورٍ واحد(١٢٩). وفي خبر آخر في «العيون» قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خُلِقْتُ أنَا وعَلِيٌّ مِنْ نُورٍ واحِدٍ(١٣٠). وفي «العيون» عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن علي عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل عليه السلام، عن ميكائيل عليه السلام، عن إسرافيل عليه السلام، عن اللوح، عن القلم قال: يقول الله عزّ وجل: ولايَةُ عليّ بنِ أبي طالِبٍ حِصْني، فَمَنْ دَخَلَ حِصْني أمِنَ مِنْ عَذابي(١٣١).

فهذه هي الولاية التي هي واجبة على كل مخلوق. ولا يخفى أن المستفاد من هذا الخبر أن اللوح والقلم ملكان أفضلان من الثلاثة الذين من قبلهما، فعليّ عليه السلام قطب الولاية، ونقطة الهداية وخطّة البداية والنهاية، يشهد بذلك أهل العناية، وينكره أهل الغباية.

وفي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: قَدْ وَلَدَني رَسُولُ

الله ﷺ، وَأَنَا أعلَمُ كتابَ الله، وفيه بَدْءُ الخَلْقِ وما هُوَ كائنٌ إلى يَوْمِ القيامَة، وَفيه خَبَرُ السمَاء والأَرْضِ وخَبَرُ الجَنَّةِ والنَّارِ وخَبَرُ ما كانَ وما هُوَ كائنٌ، أعلَمُ ذلكَ كما أنْظُرُ إلى كَفِّي، إنَّ اللهَ تعالى يقُولُ: «فيهِ تِبْيانُ كُلِّ شيْءٍ»(١٣٢).

وفي «الكافي» عن علي عليه السلام: أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ، إنَّ في القُرآنِ علْمَ ما مَضَى وعلْمَ ما يأتي إلى يَوْمِ القيامَة، وحُكْمَ ما بَيْنَكُمْ وبيانَ ما أصْبَحْتُمْ فيهِ تخْتَلِفُونَ، فَلَوْ سَألْتُمُوني عَنْهُ لَعَلَّمْتُكُمْ(١٣٣).

وفي باب البداء من «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام: إنَّ اللهَ تعالَى أخْبَرَ مُحَمَّداً ﷺ بما كَانَ مُنْذُ كانَت الدُّنيا، وبما يَكُونُ إلى انْقِضاءِ الدُّنْيا وأخْبَرَهُ بالمَحْتُومِ عَنْ ذلكَ، واسْتَثْنَى عَنْهُ فيما سِواهُ(١٣٤).

وفي «الكافي» عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك أخبرني عن النبي ﷺ ورث النبيين كلهم؟ قال: نَعَمْ. قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟ قال: ما بَعَثَ اللهُ نبيّاً إلاّ ومُحَمَّدٌ أعلَمُ منْهُ. قال: قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيى الموتى بإذن الله! قال: صَدَقْتَ، وسُلَيْمانُ بْنُ داودَ كانَ يَفْهَمُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْدِرُ على هذهِ المَنازِلِ. قال: فقال: (إنَّ) سُلَيْمانَ بْنَ داوُدَ عليه السلام قال لِلْهُدْهُدِ حينَ فقَدَهُ وشَكَّ في أمرِهِ «فقالَ: ما لي لا أرَى الهُدْهُدَ أمْ كانَ منَ الغائبينَ»؟ حينَ فَقَدَهُ وغضبَ عَلَيْهِ فقالَ: «لأُعَذِّبَنَّهُ عذاباً شديداً أوْ لأذْبَحَنَّهُ أوْ ليأتِيَنِّي بسُلْطانٍ مُبينٍ» وإنَّما غَضِبَ لأنَّهُ كانَ يَدُلُّهُ على الماء، فهذا ـ وهُوَ طائرٌ ـ قَدْ أعْطِيَ ما لَمْ ـ يُعْطَ سُلَيْمانُ، وقدْ كانَت الرِّيحُ والنَّمْلُ والإنْسُ والجِنُّ والشَّياطِينُ المَرَدَةُ لَهُ طائعينَ، ولَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الماءَ تَحْتَ الهواءِ وكان الطَّيْرُ يعرِفُهُ.

وإنَّ اللهَ يقُولُ في كتابِهِ: «ولَوْ أنَّ قرآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ أو قُطِّعَتْ بِهِ الأرضَ أوْ كُلِّمَ بِهِ الموْتَى»(١٣٥)، (وقَدْ ورِثْنا هذا القُرآنَ الذي فيهِ ما

تُسَيَّرُ به الجِبالُ وتُقَطَّعُ به البُلْدانُ ويُحْيي به المَوْتى، ونَحْنُ نعْرِفُ الماءَ تَحْتَ الهواء. وإنَّ في كتاب الله لآيات ما يُرادُ به أمْرٌ إلاَّ أنْ يَأْذَنَ اللهُ به مَعَ ما قَدْ يَأْذَنُ اللهُ ممَّا كَتَبَهُ الماضُونَ جَعَلَهُ لنا في أمِّ الكِتاب، إنَّ اللهَ تعالى يقُولُ: «وما مِنْ غائِبَةٍ في السَّماءِ والأرْضِ إلاَّ في كِتابٍ مُبين»(١٣٦)، ثمَّ قال: «ثمَّ أوْرَثْنا الكِتابَ الَّذين اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا»(١٣٧) فَنَحْنُ الَّذينَ اصْطَفانا اللهُ تعالى وأوْرَثَنا هذا الَّذي فيهِ تِبْيانُ كُلّ شَيْءٍ(١٣٨).

وفي «الكافي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ أوَّلَ وَصِيٍّ كانَ على وَجْهِ الأرْضِ هِبَةُ اللهِ بْنُ آدَمَ، وما مِنْ نَبِيٍّ مَضَى إلاَّ وَلَهُ وَصِيٌّ، وكان جَميعُ الأنْبِياءِ مائَةَ أَلْفِ نَبِيٍّ وعِشْرِينَ أَلْفَ نَبِيٍّ، مِنْهُمْ خَمْسَةٌ أولُو العَزْمِ: نُوحٌ وإبراهِيمَ ومُوسى وعِيسى ومُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين. وإنَّ عليَّ بْنَ أبي طالِبٍ عليه السلام كان هِبَةَ الله لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَرِثَ عليه السلام عِلْمَ الأوْصِياءِ وعِلْمَ مَنْ كانَ قَبْلَهُ؛ أما إنَّ مُحَمَّداً وَرِثَ) عِلْمَ مَنْ كانَ قَبْلَهُ مِنَ الأنْبِياءِ والمُرْسَلِينَ(١٣٩).

وفي «الكافي» قال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّ داوُدَ وَرِثَ عِلْمَ الأنْبياء، وإنَّ سُلَيْمانُ وَرِثَ داوُدَ إنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وَرِثَ سُلَيْمانَ، وإنَّا ورِثْنا مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله، وإنَّ عِنْدَنا صُحُفَ إبراهيمَ وأَلْواحَ مُوسى. فقال أبو بصير: إن هذا هو العلم! فقال: يا أبا مُحَمَّد لَيْسَ هذا هُوَ العِلْمُ، إنَّ العِلْمَ ما يَحْدُثُ باللَّيْلِ والنَّهارِ يَوْماً بيَوْمٍ وساعَةً بِساعَةٍ(١٤٠). ومثله في «الكافي» بطريق آخر(١٤١).

وفي «بصائر الدرجات» و «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: يا سُلَيْمانُ، ما جاءَ عَنْ أميرِ المُؤْمِنينَ عليه السلام يُؤْخَذُ بِهِ، وما نَهَى عَنْهُ يُنْتَهَى عَنْهُ، جَرَى لَهُ مِنَ الفَضْلِ ما جَرَى لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، ولِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله الفَضْلُ عَلَى جميعِ مَنْ خَلَقَ الله. المُعَيِّبُ على أميرِ

المُؤمنينَ عليه السلام في شَيْءٍ مِنْ أحْكامِه كالمُعَيِّبِ على اللهِ وعلى رَسُولِه، والرادُّ عليه في صَغيرَةٍ أوْ كبيرةٍ على حدِّ الشِّرْكِ باللهِ. كان أميرُ المُؤمنينَ عليه السلام بابَ اللهِ الذي لا يُؤتى إلاّ منْهُ وسبيلَهُ الذي من سلكَ بغَيْرِهِ هَلَكَ، وبذَلكَ جَرَتْ الأئمَّةُ واحداً بَعْدَ واحد، جَعَلَهُمُ اللهُ أرْكَانَ الأرْضِ أنْ تَميدَ بِهِمْ، والحُجَّةَ البالِغَةَ عَلَى مَنْ فَوْقَ الأرْضِ ومَنْ تَحْتَ الثَّرَى.

قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنَا قَسيمُ اللهِ بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، وأنَا الفارُوقُ الأكْبَرُ، وأنَا صاحبُ العَصَا والميْسَمِ، وَلَقَدْ أقَرَّتْ لي جميعُ المَلائكَة والرُّوحُ بِمِثْلِ ما أقَرَّتْ لمُحَمَّد صلى الله عليه وآله، ولَقَدْ حُمِلَتْ عَلَى مِثْلُ حُمُولَةِ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وهِيَ حُمُولَةُ الرَّبِّ، وإنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله يُدْعَى فيُكْسَى ويُسْتَنْطَقُ، وأُدْعَى فأكْسى وأُسْتَنْطَقُ، فأنْطِقُ على حَدٍّ مَنْطِقِه. ولَقَدْ أُعْطيتُ خِصالاً لَمْ يَعْطِهُنَّ أحَدٌ قَبْلي: عُلِّمْتُ عِلْمَ المَنَايَا والبَلايا والأنْسَاب وفَصْلَ الخِطَاب، فَلَمْ يَفُتْني ما سَبَقَ، ولَمْ يَعْزُبْ عَنِّي ما غابَ عَنِّي، أُبَشِّرُ بإذْنِ اللهِ، وأؤَدِّي عَنِ اللهِ، كُلُّ ذلكَ مَكَّنَني اللهُ فيه[١٤٢].

وفي «الكافي» خبران آخران مثله[١٤٢].

وفي «تأويل الآيات» عن محمد بن العباس بإسناده عن صالح بن سهل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام: يَقْرَأُ: «وكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ في إمامٍ مُبينٍ» قال: في أمير المؤمنين عليه السلام[١٤٣].

وفيه عن «مصباح الأنوار» للشيخ الطوسي رحمه الله قال: ومن عجائب آياته ومعجزاته ما رواه أبو ذر الغفاري رحمه الله قال: كنت سائراً في أغراض (مع) أمير المؤمنين عليه السلام إذ مررنا بواد والنملة كالسيل سار، فذهلت ممّا رأيت، فقلت: الله أكبر، جلّ محصيه! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تَقُلْ ذلكَ يا أبا ذَرٍّ، ولَكِنْ قُلْ: جَلَّ باريه! فَوَالَّذي صَوَّرَكَ إنِّي أُحْصي عَدَدَهُمْ وأعْلَمُ الذَّكَرَ والأُنْثَى مِنْهُمْ بإذْنِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ[١٤٤].

وفي «بصائر الدرجات» و «الكافي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: فَضْلُ أميرِ المُؤمنينَ عليه السلام ما جاءَ بِهِ أُخِذَ (به)، وما نَهَى عَنْهُ انْتُهِيَ عَنْهُ، جَرَى لهُ مِنَ الطَّاعَةِ بَعْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله ما لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله والفَضْلُ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، والمُتَقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهِ كالمُتَقَدِّمِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، والمُتَفَضِّلُ عَلَيْهِ كالمُتَفَضِّلِ على رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، والرَّادُّ عَلَيْهِ في صغيرَةٍ أو كَبيرَةٍ على حَدِّ الشِّرْكِ بالله، فإنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله بابُ الله الَّذي لا يُؤْتَى إلاَّ مِنْهُ، وسَبيلُهُ الَّذي مَنْ سَلَكَهُ وَصَلَ إلى الله، وكذلكَ كانَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام بَعْدَهُ، وجَرَى للأئمَةِ عليهم السلام واحداً بَعْدَ واحِدٍ، جَعَلَهُمُ اللهُ أرْكَانَ الأرْضِ أنْ تَميدَ بِأَهْلِها، وعُمَدَ الإسلامِ ورابِطَها على سبيلِ هُداهُ، لا يَهْتَدي هادٍ إلاَّ بِهُداهُمْ، ولا يَضِلُّ خارِجٌ مِنَ الهُدَى إلاَّ بِتَقْصيرٍ عَنْ حَقِّهِمْ، أمْنَاءُ اللهِ على ما أهْبَطَ مِنْ عِلْمٍ أوْ عُذْرٍ أو نُذْرٍ، وَالحُجَّةُ البالِغَةُ على مَنْ في الأرْضِ، يَجْري لآخِرِهِمْ مِنَ الله مِثْلُ الَّذي جَرَى لأوَّلِهِمْ، ولا يَصِلُ أحَدٌ إلى ذلكَ إلاَّ بِعَوْنِ الله تعالى(١٤٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنَا قَسيمُ الله بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، لا يَدْخُلُهُما داخِلٌ إلاَّ على حَدِّ قَسْمي، وأنَا الفارُوقُ الأكْبَرُ، وأنَا الإمامُ لِمَنْ بَعْدي، والمُؤَدِّي عَمَّنْ كانَ قَبْلي، لا يَتَقَدَّمُني أحَدٌ إلاَّ أحْمَدُ، وإنِّي وإيَّاهُ لَعَلَى سبيلٍ واحِدٍ إلاَّ أنَّهُ هُوَ المَدْعُوُّ بِاسْمِهِ. وَلَقَدْ أُعْطيتُ السِّتَّ: عِلْمَ المَنايا والبَلايا، والوَصايا، وفَصْلَ الخطاب، وإنِّي لصاحِبُ الكَرّاتِ ودَوْلَةِ الدُّوَلِ، ولَصاحِبُ العَصَا والمِيسَمِ، والدَّابَّةُ الَّتي تُكَلِّمُ النَّاسَ.

وفي «الكافي» عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك، إنّي أسألك عن مسألة، ههنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام ستراً بينه وبين بيت آخر فأطلع فيه فقال: يا أبا محمد سل عما بدا لك. قال: قلت: جعلت فداك، إن شيعتك يحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم علياً عليه السلام باباً يفتح له منه

ألف باب، قال: فقال: يا أبا مُحَمَّدٍ عَلَّمَ رَسُولُ الله ﷺ عليّاً عليه السلام ألْفَ بابٍ يَفْتَحُ مِنْ كُلِّ بابٍ ألفُ بابٍ. قلت: هذا والله العلم. قال: فمكث ساعة في الأرض ثم قال: إنَّه لَعِلْمٌ وما هوَ بِذَاكَ. قال: ثم قال: يا أبا مُحَمَّد، فإنَّ عِنْدَنَا الجامعَةَ، وما يُدْرِيهِمْ مَا الجَامعَةُ؟ قال: قلت: جعلت فداك، وما الجامعة؟ قال عليه السلام: صحيفَةٌ طولُها سبْعُونَ ذِراعاً بِذِراعِ رَسُولِ الله ﷺ وإمْلائه مِنْ فَلْق فيه وَخَطُّ علي بِيَمينه، فيها كُلُّ حَلالٍ وحَرامٍ وكُلُّ شيءٍ يَحْتاجُ إلَيْهِ النَّاسُ حَتَّى الأرْشُ في الخَدْشِ.

وضرب بيده إلي فقال: أتَأْذَنُ لي يا أبا مُحَمَّد؟ قال: قلت جعلت فداك إنَّما أنا لك، فاصنع ما شئت. قال: فغمزني بيده وقال: حتَّى أرْشُ هذا ـ كأنّه مغضب ـ قال: قلت: هذا والله العلم! قال: وإنَّهُ لَعِلْمٌ ولَيْسَ بِذاكَ. ثم سكت ساعة ثم قال: وإنَّ عِنْدَنَا الجَفْرَ، وما يُدْرِيهِمْ ما الجَفْرُ! قال: قلت: وما الجفر؟ قال: وِعاءٌ مِنْ أُدْمٍ، فيه عِلْمُ النَّبِيِّينَ والوَصِيِّينَ وعِلْمُ العُلَمَاء الَّذينَ مَضَوْا مِنْ بَني إسرائيلَ. قال: قلت: هذا هو العلم! قال: إنَّهُ لَعِلْمٌ ولَيْسَ بِذاكَ. ثم سكت ساعة ثم قال: وعِنْدَنَا لَمَصْحَفُ فاطِمَةَ عليها السلام، وما يُدْرِيهِمْ ما مَصْحَفُ فاطِمَةَ عليها السلام! قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام، قال: مَصْحَفٌ فيه قُرْآنُكُمْ هذا ثلاثَ مرَّات، والله ما فيه مِنْ قُرْآنِكُمْ حَرْفٌ واحِدٌ. قال: قلت: هذا والله العلم، قال: إنَّهُ لَعِلْمٌ وما هُوَ بِذاكَ. ثم سكت ساعة ثم قال: إنَّ عِنْدَنا عِلْمَ ما كانَ وما هُوَ كائِنٌ إلى أنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. قال: قلت: جعلت فداك، هذا والله هو العلم، قال: إنَّهُ لَعِلْمٌ ولَيْسَ بِذاكَ. قال: قلت: جعل فداك؟ فأي شيء العلم؟ قال: ما يَحْدُثُ باللَّيْلِ والنَّهارِ، الأمْرُ بَعْدَ الأمْرِ، والشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ(١٤٦).

حديث أمير المؤمنين حول معرفته بالنورانية

وفي «بصائر الأنوار» قال أمير المؤمنين عليه السلام لسلمان وأبي ذر - رضي الله عنهما - حين سألاه عن معرفته بالنورانية، قال عليه السلام: مَعْرِفَتِي بالنُّورانيَّةِ مَعْرِفَةُ الله عَزَّ وجَلَّ، ومَعْرِفَةُ الله عزَّ وجلَّ بالنُّورانيَّةِ هُوَ الدِّينُ الخالِصُ، فَمَنْ أقامَ ولايَتي فقَدْ أقامَ الصَّلاةَ، والمُؤْمِنُ المُمْتَحَنُ الَّذي لا يَرِدُ عَلَيْهِ شيءٌ مِنْ أمْرِنا إلاَّ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لقَبُولِه، ولَمْ يَشُكّ ولَمْ يَرْتَدَّ؛ ومَنْ قالَ: لِمَ وكَيْفَ؟ فَقَدْ كَفَرَ، فَسَلِّمِ اللهَ أمْرَهُ، ونَحْنُ أمْرُ الله.

واعْلَمْ أنِّي عَبْدُ الله عزَّ وجَلَّ، وجَعَلَني خَليفَتَهُ على عِبادِهِ وبِلادِهِ، وأمينَهُ على خَلْقِه وفي أرْضِه. لا تَجْعَلُونَا أرْباباً وقُولُوا في فَضْلِنا ما شِئْتُمْ، فإنَّكُمْ لا تَبْلُغُونَ كُنْهَ ما فينا ولا نِهايَتَهُ، فإنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ قَدْ أعْطانا أكْبَرَ وأعْظَمَ مِمَّا يَصِفُهُ وأصِفُكُمْ أوْ يَخْطُرُ على قَلْبِ أحَدِكُمْ أوْ يَعْرِفُهُ العارِفُونَ. فإذا عَرَفْتُمُونَا هكَذا فأنْتُمُ المُؤْمِنُونَ. أنَا ومُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله نُورٌ واحِدٌ مِنْ نُورِ الله عزَّ وجلَّ، فأمَرَ اللهُ تبارَكَ وتعالى ذلكَ النُّورَ أنْ يَنْشَقَّ، فقالَ للنِّصْفِ: كُنْ مُحَمَّداً، وصارَ مُحَمَّداً، وقالَ للنِّصْفِ الآخرِ: كُنْ عَلِياً، صارَ عَلِياً، وصارَ مُحَمَّدٌ النَّاطِقَ، وصِرْتُ أنَا الصَّامِتَ.

قال: فضرب بيده على الأخرى فقال: صار مُحَمَّدٌ صاحِبَ الجَمْعِ، وصِرْتُ أنَا صاحِبَ النَّشْرِ، وأنَا صاحِبُ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، الهَمَنِي الله عِلْمَ ما فيه؛ صارَ مُحَمَّدٌ خاتَمَ النَّبِيِّينَ وأنَا خاتَمُ الوَصِيِّينَ؛ وصارَ مُحَمَّدٌ النَّبِيَّ الكَرِيمَ، وأنَا الصِّراطُ المُسْتَقِيمُ؛ صارَ مُحَمَّدٌ الرَّؤُوفَ الرَّحِيمَ، وأنَا العَلِيُّ العَظِيمُ، وأنَا النَّبَأُ العَظِيمُ.

أنَا الَّذي حَمَلْتُ نُوحاً في السَّفِينَةِ بِأمْرِ رَبِّي، أنَا الَّذي أخْرَجْتُ

يُونُسَ مِنْ بَطْنِ حُوت، أَنَا الَّذي جاوَزْتُ بِمُوسَى بْنِ عِمْرانَ البَحْرَ بِأَمْرِ رَبِّي، أَنَا الَّذي أَخْرَجْتُ إبراهيمَ منَ النَّارِ؛ وأَنَا عذابُ يَوْمِ الظُّلَّة، وأَنَا المُنَادَى مِنْ مكانٍ قريب، وأَنَا الخضرُ عالمُ مُوسى، وأَنَا مُعَلِّمُ داوُدَ وسُلَيْمانَ، وأَنَا ذُو القَرْنَيْنِ، وأَنَا قُدْرَةُ الله عَزَّ وجَلَّ، أَنَا مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ أَنَا، قالَ الله تعَالى: «مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ»، أَنَا أميرُ كلِّ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنَةٍ مِمَّنْ مَضَى ومِمَّنْ بَقِيَ، وأُيِّدْتُ بِرُوحِ العَظَمَة، وأَنَا تَكَلَّمْتُ على لِسانِ عيسَى بْنِ مَرْيَمَ فِي المَهْد، وأَنَا إبراهيمُ، وأَنَا مُوسى، وأَنَا عيسى، وأَنَا مُحَمَّدٌ، أَتَقَلَّبُ في الصُّوَرِ كَيْفَ أَشَاءُ، مَنْ رآني فَقَدْ رآهُمْ، ونَحْنُ نُورُ الله الَّذي لا يَتَغَيَّرُ، وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ الله تَعَالى، إِنَّا آياتُ الله ودَلائِلُهُ، وحُجَجُ الله وَخَليفَتُهُ، وعَيْنُ الله ولِسانُهُ، بِنَا يُعَذِّبُ اللهُ عِبادَهُ، وبِنا يُثِيبُ.

وَلَوْ قالَ أَحَدٌ: لِمَ وَكَيْفَ وفيمَ؟ لَكَفَرَ وأَشْرَكَ، وأَنَا أُحْيِي وأُميتُ بِإِذْنِ رَبِّي، وأَنَا عالِمٌ بِضَمَائِرِ قُلُوبِكُمْ، والأَئِمَّةُ مِنْ أَوْلادي يَعْلَمُونَ هذا وَيَعْقِلُونَ هذا إذا أَحَبُّوا وأَرادُوا، لأَنَّا كُلُّنا واحدٌ، أَوَّلُنا مُحَمَّدٌ، وأَوْسَطُنا مُحَمَّدٌ، وآخِرُنا مُحَمَّدٌ، وكُلُّنا مُحَمَّدٌ، فلا تُفَرِّقُوا بيْنَنا فإِنَّا نَظْهَرُ في كلِّ زمانٍ ووَقْتٍ وآوانٍ في أيِّ صُورَةِ شِئْنا، بإِذْنِ الله عَزَّ وجَلَّ كُنَّا نَحْنُ، وإذا شِئْنا شاءَ اللهُ، وإذا كَرِهْنا كَرِهَ اللهُ. الوَيْلُ كُلُّ الوَيْلِ لِمَنْ أَنْكَرَ فَضْلَنا وخُصُوصِيَّتَنا، وقَدْ أَعْطانَا اللهُ رَبُّنا عَزَّ وجَلَّ الاسْمَ الأَعْظَمَ، لَوْ شِئْنا خَرَقْنا السماواتِ والأَرْضَ والجَنَّةَ والنَّارَ، ونَعْرُجُ به السَّمَاءَ، ونَهْبِطُ به الأَرْضَ، نُغَرِّبُ ونُشَرِّقُ ونَنْتَهي به إلى العَرْشِ فَنَجْلِسُ عَلَيْه بَيْنَ يَدَيِّ الله عَزَّ وجَلَّ، ويُطيعُنا كُلُّ شَيْءٍ حتَّى السَّماواتُ والأَرْضُ وَالشَّمْسُ والقَمَرُ والنُّجُومُ والجِبالُ والبِحارُ والشَّجَرُ والدَّوابُ والجَنَّةُ والنَّارُ، ومَعَ هذا كُلِّه نَأْكُلُ ونَشْرَبُ، ونَمْشي في الأَسْواقِ، ونَعْمَلُ هَذِهِ الأَشْيَاءَ بِأَمْرِ رَبِّنا. ونَحْنُ عِبادُ اللهِ المُكْرَمُونَ الَّذينَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ،

(جعلَنا) مَعْصُومينَ مُطَهَّرينَ، وفَضَّلنا على كثيرٍ منْ عبادِه المُؤْمنينَ. «الحَمْدُ لله الَّذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنَهْتَدِيَ لَوْلا ـ أنْ هَدانَا الله»، وحَقَّتْ كَلِمَةُ العَذابِ على الكافِرينَ، أعْنِي الجاحِدينَ بِكُلِّ ما أعْطانَا اللهُ منَ الفَضْلِ والإحْسانِ.

يا جُندَبُ يا سَلْمانُ، هذه مَعْرِفَتي بالنُّورانيَّة، فَتَمَسَّكْ بها راشِداً، فإنَّهُ لا يَبلُغُ أحَدٌ منْ شيعَتِنا حَدَّ الاسْتِبْصارِ حتَّى يَعْرِفَني بالنُّورانيَّة، فإذَا عَرَفَني بها كانَ مُسْتَبْصِراً بالغاً كَاملاً قَدْ خاضَ بَحْراً منَ العِلْمِ، وارْتَقَى دَرَجَةً منَ الفَضْلِ، واطَّلَعَ سِرّاً منْ سِرِّ اللهِ ومَكْنُونَ خزائنِه(١٤٧).

وفي كتاب «البصائر» و «مصباح الأنوار» من جملة حديث مفضل عن الصادق عليه السلام، ثم قال: يا مُفَضَّلُ تَعْلَمُ أنَّهُمْ في رَوْضَةِ الخَضْراءِ، فَمَنْ عَرَفَهُمْ كُنْهَ مَعْرِفَتِهِمْ كانَ مُؤْمِناً في السَّنامِ الأعْلى. قال: قلت: عرّفني ذلك يا سيّدي فقال: يا مفضَّلُ تَعْلَمُ أنَّهُمْ عَلِمُوا ما خَلَقَ اللهُ عَزَّ وجلَّ وذَرَأَ وبَرَأَ، وأنَّهُمْ كَلِمَةُ التَّقْوَى وخُزّانُ السَّماواتِ والأرْضينَ والجِبالِ والرِّمالِ والبِحارِ، وعَرفُوا كَمْ في السَّماءِ نَجْمٌ ومَلَكٌ وفَلَكٌ، ووَزْنَ الجِبالِ وكَيْلَ البِحارِ وأنْهارِها وعُيُونِها، وما تَسْقُطُ منْ وَرَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُوها ولا حَبَّةٍ في ظُلُماتِ الأرْضِ ولا رَطْبٍ ولا يابِسٍ إلاَّ في كِتابٍ مُبينٍ، وهُوَ في عِلْمِهِمْ وقَدْ عَلِمُوا ذلكَ. قلت: يا سيّدي، قد علمت وأقررت وآمنت، قال: نعمْ يا مُفَضَّلُ، نَعَمْ يا مُكَرَّمُ، نَعَمْ يا مَحْبُورُ، نَعَمْ يا طَيِّبُ، طِبْتَ وطَابَتْ لَكَ الجَنَّةُ ولِكُلِّ مُؤْمِنٍ بها(١٤٨).

وفي «تأويل الآيات» عن «الكافي» بإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: الإمامُ الرَّحْمَةُ الَّتي يَقُولُ اللهُ: «ورَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ»(١٤٩) ـ الحديث.

أقول: وهذا هو الحق المطابق لما أسلفنا من أن الولاية سارية في كل شيء.

علة إحاطة علم الأئمة عليهم السلام بجميع الحوادث

ويمكن أن يُقال علة كون علمهم محيطاً بجميع الحوادث ما كان وما سيكون، أن العلم بالشيء إما أن يستفاد من الحس برؤية أو تجربة أو سماع خبر أو شهادة أو اجتهاد أو نحو ذلك، ومثل هذا العلم لا يكون إلا متغيّراً فاسداً محصوراً متناهياً غير محيط، لأنّه إنما يتعلق بالشيء في زمان وجوده علم وقبل وجوده علم آخر وبعد وجوده علم ثالث، وهذا كعلوم أكثر الناس.

وأمّا أن يستفاد من مبادئه وأسبابه وغاياته علماً واحداً كلياً بسيطاً محيطاً على وجه عقلي غير متغير، فإنّه ما من شيء إلاّ وله سبب، ولسببه سبب، وهكذا إلى أن ينتهي إلى مسبب الأسباب، وكل ما عرف سببه من حيث يقتضيه ويوجبه فلا بد وأن يعرف ذلك الشيء علماً ضرورياً دائماً. فمن عرف الله تعالى بأوصافه الكمالية ونعوته الجلالية، وعرف أنّه مبدأ كل وجود وفاعل كل فيض، وعرف ملائكته المقربين ثم ملائكته المدبّرين المسخرين للأغراض الكلية العقلية، بالعبادات الدائمة والنسك المستمرة من غير فتور ولغوب الموجبة لأن يترشح عنها صور الكائنات، كل ذلك على الترتيب السببي والمسببي، فيحيط علمه بكل الأمور وأحوالها ولواحقها علماً بريّاً من التغير والشك والغلط، فيعلم من الأوائل الثاني، ومن الكليات الجزئيات المترتّبة عليها، ومن البسائط المركّبات؛ ويعلم حقيقة الإنسان وأحواله وما يكملها وما يزكّيها وما يسعدها (ويصعدها) إلى عالم القدس، وما يدنّسها ويرديها ويشقيها ويهويها إلى أسفل السافلين علماً ثابتاً غير قابل للتغيّر.

ولا يحتمل تطرق الريب، فيعلم الأمور الجزئية من حيث هي جزئية دائمة كلية. ومن حيث لا كثرة فيه ولا تغيّر وإن كانت هي كثيرة متغيرة في أنفسها وبقياس بعضها إلى بعض. فهذا كعلم الله سبحانه بالأشياء؛ وعلم ملائكته المقربين وعلوم الأنبياء والأوصياء بأحوال الموجودات الماضية والمستقبلية، وعلم ما كان وعلم ما سيكون إلى يوم القيامة من هذا القبيل، فإنه علم كلي ثابت غير متجدد بتجدد المعلومات، ولا متكثر بتكثرها.

ومن عرف كيفية هذا العلم عرف معنى قوله: ونَزَّلْنا عَلَيْكَ القُرآنَ تِبْياناً لِكُلِّ شيءٍ[١٥٠]، ويصدق بأن جميع العلوم والمعاني في القرآن الكريم عرفاناً حقيقياً وتصديقاً يقينياً على بصيرة لا وجه التقليد والسماع ونحوهما، إذ ما أمر من الأمور إلا وهو مذكور في القرآن أمّا بنفسه أو بمقوماته وأسبابه ومبادئه وغاياته. ولا يتمكن من فهم آيات القرآن وعجائب أسراره وما يلزمها من الأحكام والعلوم الّتي لا تتناهى إلا من كان علمه بالأشياء من هذا القبيل.

قال في «المجلى»: وأمّا اطلاعه بأحوال الكائنات فمعلوم من أقواله وأحواله ومقاماته العلية مع الحضرة الإلهية والحضرة المحمدية ﷺ، وأنّه عليه السلام قال: سَلُوني عَنْ طُرُقِ السَّماءِ[١٥١]، وقوله عليه السلام: عَلَّمْتُ المَنَايا والبَلايَا والوَصايا[١٥٢]، وقال في حقه رسول الله ﷺ: إنَّكَ تَسْمَعُ ما أسْمَعُ وتَرَى ما أرى[١٥٣]، وأخبر ﷺ في ليلة المعراج (أنّه) كشف له أبواب السماء، فما وضع رسول الله ﷺ في معراجه قدمه إلاّ وذلك بعين علي عليه السلام، وقال ﷺ: لَمَّا انْتَهَيْتُ إلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ رَأَيْتُ شَخْصاً جالِساً على كُرْسِيٍّ، فَتَأمَّلْتُهُ فإذَا هُوَ علِيُّ بنُ أبي طالب عليه السلام، فقُلْتُ: يا أخي جَبْرَئِيلُ! هذا علِيُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام قَدْ سَبَقَنِي إلى هذا

المَكَانِ؟ فقال جَبْرَئيل: هذا مَلَكٌ على صُورَةِ عليّ بنِ أبي طالب عليه السلام، إنَّ الملائكةَ اشْتَاقَتْ إلى عَلِيِّ بنِ أبي طالب عليه السلام فَخَلَقَ اللهُ لَهُمْ ملَكاً على صُورَتِه، فَهُمْ يَزُورُونَهُ مِنْ جَمِيعِ السَّماواتِ ومِنْ تَحْتِ العَرْشِ والكُرْسِيِّ شَوْقاً على (إلى ـ ظ) عليّ بنِ أبي طالب عليه السلام (١٥٤).

ومن يكون بهذه الصفات كيف يخفى عليه شيء من أحوال العالم؟

وأمّا الارتقاء على العلويات، فمعلوم ممّا ذكرناه، فإنّه عليه السلام صاحب (المعراج المعنوي كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاحب) المعراج الصوري، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما بَلَغْتُ شَيْئاً لَيْلَةَ المِعْراجِ ولا رَأَيْتُهُ إلاَّ بَلَغْتُ عَلِيَّ بنَ أبي طالب عليه السلام ورَاءَهُ وَهُوَ في الأَرْضِ.

لأن الله قد فتح لقلبه وبصره أبواب خزائن سماواته وأرضه حتى ارتقى على جميعها، وصعد بنفسه المقدسة إلى المقام الأعلى والمحل الأقدس الذي كان فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج الذي وصفه الله بكونه قاب قوسين أو أدنى، حتّى أن الجليل عزّ وجلّ خاطب نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بلسان علي عليه السلام، حتّى قال صلى الله عليه وآله وسلم: يا رَبِّ أنتَ خاطَبْتَني أمْ عليٌّ؟ فقالَ تعالى: إنّي اطَّلَعْتُ على سرائرِ قلْبكَ فَلَمْ أجِدْ فيه أحَبَّ إلَيْكَ منْ عليٍّ فخاطَبْتُكَ بلسانه كَيْ يَطْمَئِنَّ قلْبُكَ. فقُلْتُ: الحمْدُ لله كَما كانَ لابْنِ عَمِّي هذهِ الفَضيلَةَ(١٥٥).

ويؤيّد إحاطة علمه عليه السلام ما قاله العالم العارف السهروردي رحمه الله: قد «تتسلط أنوار الفضل على الباطن، فيمتلىء القلب منها حتى تتمحي آثار الوجود وتلوينات النفس، وقد يكون ذلك في جميع الخلوات والأذكار، وذلك لكمال شغل القلب بالله وحده. فإذا كان في الصلاة وفي غير الصلاة يكون التلاوة والقرآن الجاري بمنزلة الحطب في لهب النار فتخطفه النار، (و) هكذا يتخطف القلب المملوء من النور

التلاوة والقرآن كذلك. فكما أن الحطب يذهب حجمه ولا يبقى إلا الرماد اليسير فكذلك يذهب حجم الحروف والكلمات وتخف القراءة، ولا تبقى عند ذلك وسوسة البتّة، وكل حرف من القرآن يقع من الوجود كالجبل فيفنيه ويذهب آثاره، وينضاف نوره إلى النور الّذي في القلب فيزداد نوراً ويزداد الوجود متلاشياً، وعند ذلك يدرج الزيادة في صفاء الوقت حتّى لعل القارىء والمصلي يختم الختم في أدنى زمان. ولا يتصور ذلك في حق غير من هو بهذا النعت.

ومن هنا قال النبي ﷺ: لَوْ كانَ القُرآنُ في إهابٍ لما مَسَّتْهُ النَّارُ(١٥٦). والمراد ظرف وعاء تدبّره، وسلك طريقه لم تمسّه النار. أمّا نار الآخرة فظاهرة، وأمّا نار الدنيا فلأنّ الواصلين من أولياء الله الكاملين في قوتهم النظريّة والعملية يبلغون حداً ينفعل العناصر عن نفوسهم، فتتصرف فيها كتصرفهم في أبدانهم، فلا يكون لها في أبدانهم أثر».

واعلم أن أعظم علوم القرآن تحت أسماء الله تعالى وصفاته، ولم يدرك الخلق منها إلا بقدر عقولهم وأفهامهم، وإليه الإشارة بقوله تعالى: أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ماءً فسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً. فالماء هو العلم أنزل من سماء جوده ففاضت أودية القلوب كل على حسب استعدادها وإن كان وراء ما أدركوه أطوار أخرى لم يقفوا عليها. ولمّا وقف قدوة أهل العلم على كلها قال: أَنَا كَلامُ اللهِ النّاطِقُ، وأَنَا النُّقْطَةُ تَحْتَ باءِ بِسْمِ الله. وفي رواية معلّى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام: ما مِنْ أمْرٍ يَخْتَلِفُ فيهِ اثْنانِ إلاّ ولَهُ أصْلٌ في كِتابِ اللهِ ولَكِنْ لا يبْلُغُهُ عُقُولُ الرِّجالِ(١٥٧).

الإحاطة العلمية للأئمة عليهم السلام في الأخبار

وفي «بصائر الدرجات» قال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّ لله علْمَيْن: علْمٌ يَعْلَمُهُ ملائكَتُهُ ورُسُلُهُ فَنَحْنُ نَعْلَمَهُ، وما خَرَجَ مِنَ العِلْمِ الَّذي لا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ فإلَيْنَا خَرَجَ(١٥٨). وبمضمونه روايات في ذلك الكتاب.

وفي «الكافي» أخبار مستفيضة عنهم عليهم السلام: إنَّ لله علْمَيْن: علْمٌ لا يَعْلَمُهُ إلاَّ هُوَ، وعلْمٌ عَلَّمَهُ ملائكَتَهُ ورُسُلَهُ، فما عَلَّمَهُ ملائكَتَهُ ورُسُلَهُ فَنَحْنُ نَعْلَمُهُ(١٥٩).

وفي «بصائر الدرجات» قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله لَقَدْ أعْطانيَ اللهُ تَبارَكَ وتعالى سَبْعَةَ أشْيَاءَ لَمْ يُعْطِها أحَداً قَبْلي خَلا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله: لَقَدْ فُتِحَتْ لِيَ السُّبُلُ، وعُلِّمْتُ الأنْسابَ، وأُجْرِيَ لِيَ السَّحابُ، وعُلِّمْتُ المَنَايا والبَلايَا وفَصْلَ الخطاب، ولَقَدْ نَظَرْتُ في المَلَكُوت بإذْنِ رَبِّي، فما غابَ عَنِّي ما كان قَبْلي، ولا فاتَني ما يكُونُ بَعْدي(١٦٠).

وفي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: إنَّ عيسى بْنَ مَرْيَمَ عليه السلام أُعْطِيَ حَرْفَيْن كانَ يَعْمَلُ بِهِما، وأُعْطِيَ مُوسى عليه السلام أرْبَعَةَ أحْرُف، وأُعْطِيَ إبراهيمُ عليه السلام ثمانيَةَ أحْرُف، وأُعْطِيَ نُوحٌ عليه السلام خَمْسَةَ عَشَرَ حَرْفاً، وأُعْطِيَ آدَمُ عليه السلام خَمْسَةً وعِشْرِينَ حَرْفاً، فإنَّ اللهَ تعالى جَمَعَ ذلكَ كُلَّهُ لمُحَمَّد صلى الله عليه وآله. وإنَّ اسمَ الله الأعْظَمَ ثلاثَةٌ وسَبْعُونَ حَرْفاً، أعْطَى مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله اثْنَيْنِ وسَبْعِينَ حَرْفاً وحُجِبَ عَنْهُ حَرْفٌ واحِدٌ(١٦١).

وفي «الكافي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ اسمَ الله الأعْظَمَ على ثلاثَةٍ وسَبْعِينَ حَرْفاً، وإنَّمَا كانَ عِنْدَ آصِفٍ مِنْها حَرْفٌ واحِدٌ فَتَكَلَّمَ بِهِ

فَخُسفَ ما بَيْنَهُ وبَيْنَ سَريرِ بِلْقيسَ حتَّى تناوَلَ السَّريرَ بيَدِه، ثُمَّ عادَت الأَرْضُ كَما كانَتْ أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عيْن. وعِنْدَنَا نَحْنُ مِنَ الاسمِ الأَعْظَمِ اثْنانِ وَسبْعُونَ حَرْفاً. وإنَّما حَرْفٌ عِنْدَ الله اسْتَأْثَرَ بِه في عِلْمِ الله الغَيْبِ عِنْدَهُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ(١٦٢). ونَحْوِه في «الكافي» عن أبي الحسن العسكري عليه السلام. وهذه الأخبار كلها مذكورة في «بصائر الدرجات».

وفي «إرشاد الديلمي» عن سلمان الفارسي رحمه الله قال: قال لي أمير المؤمنين عليه السلام: يا سَلْمانُ، الوَيْلُ كُلُّ الوَيْلِ لِمَنْ لا يَعْرِفُنا حَقَّ مَعْرِفَتِنا، وأَنْكَرَ فَضْلَنا. يا سَلْمانُ أيُّما أَفْضَلُ؟ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أمْ سُلَيْمانُ بنُ داوُدَ عليه السلام؟ قال سلمان: بل محمد صلى الله عليه وآله فقال: سَلْمانُ هذا آصِفُ بْنُ بَرْخِيا قَدَرَ بِحَمْلِ عَرْشِ بِلْقيسَ مِنْ أَرْضِ سَبأ في طَرْفَةِ عيْنٍ وعِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ، وَلَنا أضْعافُ تِلْكَ وعِنْدَنَا عِلْمُ أَلْفِ كِتاب، أَنْزَلَ عَلَى شَيْث بنِ آدَمَ خَمْسِينَ صَحِيفَةً، وعلى إدريسَ النَّبِيِّ صلى الله على نبيّنا وآله وعليه ثلاثينَ، وَعلى إبراهيمَ الخليلِ عليه السلام عِشْرِينَ صحيفَةً، والتَّوْراة والإنْجيلَ والزَّبُورَ والفُرْقانَ، فقلت: صدقت يا سيّدي، قال الإمام عليه السلام: اعْلَمْ يا سَلْمانُ أنَّ الشَّاكَّ في أمُورِنَا وعُلُومِنَا كالمُفْتَرِي المُجْتَرِىء في مَعْرِفَتِنا وحُقُوقِنا، وقَدْ فَرَضَ اللهُ ولايَتَنا في كِتابِهِ في غَيْرِ مَوْضِعٍ، وبَيَّنَ فيهِ ما وَجَبَ العَمَلُ بِهِ وهُوَ غَيْرُ مَكْتُوب(١٦٣).

وفي «الإرشاد» عن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث مخاطباً لفاطمة عليها السلام: وأنْتِ أوَّلُ مَنْ لَحِقَ بي مِنْ أهْلِ بَيْتي. ثُمَّ اطَّلَعَ ثالثَةً فاخْتَارَ (كِ واخْتَارَ) وُلْدَكِ، فأنْتِ سيِّدَةُ نِساءِ أهْلِ الجَنَّة، وابْناكِ الحَسَنُ والحُسَيْنُ عليهما السلام ثمَّ تِسْعَةٌ مِنْ وُلْدِ الحُسَيْنِ عليه السلام في دَرَجَتِي، ولَيْسَ في الجَنَّةِ (دَرَجَةٌ) أقْرَبُ إلَى اللهِ

مِنْ دَرَجَتِي ودَرَجَةِ إبراهيمَ. أما تَعْلَمِينَ يا بِنْتَهْ أنَّ مِنْ كرامَةِ الله عزَّ وجَلَّ إيَّاكِ أنَّ زَوَّجَكِ خَيْرَ أُمَّتي وخَيْرَ أَهْلِ بَيْتِي وَأَقْدَمَهُمْ سِلْماً وأعْظَمَهُمْ حِلْماً وأكْثَرَهُمْ عِلْماً.

فاسْتبشرت فاطمة، ثم قال: يا بِنْتَهْ إنَّ لِبَعْلِكِ مناقبَ: إيمانُهُ بالله ورَسُوله قَبْلَ كُلِّ أحَد، لَمْ يَسْبِقْهُ إلى ذلكَ أحَدٌ مِنْ أُمَّتي؛ وعِلْمُهُ بكتاب الله وسُنَّتي، ولَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أمَّتي يَعْلَمُ جَميعَ عِلْمي غَيْرُ عليٍّ عليه السلام، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ عَلَّمَني عِلْماً لا يَعْلَمُهُ غَيْري، وعلَّمَ مَلائكَتَه ورُسُلَه فأنَا أعْلَمُهُ وأمَرَني اللهُ عزَّ وجَلَّ أنْ أُعَلِّمَهُ إيَّاهُ فَفَعَلْتُ، ولَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أمَّتي يَعْلَمُ عِلْمي وفِقْهي وحِكْمَتي غَيْرُهُ - إلى أن قال - وقالت فاطمة عليها السلام: وَأيُّ هَؤُلاء أفْضَلُ مِنَ الَّذينَ سَمَّيْتَ؟ قال: عَليٌّ بَعْدي أفْضَلُ أمَّتي، وحَمْزَةُ وجَعْفَرٌ أفْضَلُ أَهْلِ بَيْتي بَعْدَ عَليٍّ وبَعْدَكِ وبَعْدَ ابنَيَّ وسِبْطَيَّ حَسَنٍ وحُسَيْنٍ وبَعْدَ الأوْصياءِ مِنْ وُلْدِ ابْني هذا - وأشار بيده إلى الحسين - مِنْهُمُ المَهْدي عليه السلام (١٦٤).

وفي كتاب سليم بن قيس الهلالي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أيُّها النَّاسُ قَدْ أعْلَمْتُكُمْ: المُقَدَّمُ بَعْدي (و) إمامُكُمْ ودَليلُكُمْ وهاديكُمْ، وهوَ أخي عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام وهُوَ فيكُمْ بِمَنْزِلَتي فيكُمْ، فَقَلِّدُوهُ دينَكُمْ وأطيعُوهُ في أمورِكُمْ فإنَّ عِنْدَهُ جميعَ ما عَلَّمَني اللهُ، وإنَّ اللهَ أمَرَني أنْ أُعلِّمَهُ إيَّاهُ وقَدْ أعْلَمْتُكُمْ أنَّهُ عِنْدَهُ، فاسْأَلُوهُ وتَعَلَّمُوا مِنْهُ ومِنْ أوْصيائه، وَلا تَقَدَّمُوهُمْ ولا تَخَلَّفُوا عَنْهُمْ، فإنَّهُمْ مَعَ الحَقِّ والحَقُّ مَعَهُمْ، لا يُزايِلُوهُ ولا يُزايِلُهُمْ.

وفي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام في جملة حديث أنه قال: يا سَديرُ، ألَمْ تَقْرَأ القُرآنَ؟ قلت: بلى، قال: فَهَلْ وَجَدْتَ فيما قَرأْتَ مِنْ كتاب الله «قال الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أنَا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ»(١٦٥) قال: قلت: جعلت فداك قرأته، قال: فَهَلْ عَرَفْتَ

الرَّجُلَ؟ وهَلْ عَلِمْتَ ما كانَ عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِ الكِتابِ؟ قال: قلت: أخبرني به، قال: قَدْرُ قَطْرَةٍ مِنَ الماءِ في البَحْرِ الأَخْضَرِ، فَما كان ذلك مِنْ عِلْمِ الكِتابِ؟ قال: قلت: جعلت فداك، ما أقل هذا! فقال: يا سديرُ، ما أكْثَرَ هذا أنْ يَنْسِبَهُ اللهُ تعالى إلى العِلْمِ الَّذي أخْبَرَكَ بِهِ! يا سَديرُ، فَهَلْ وجَدْتَ فيما قَرَأْتَ مِنْ كتابِ الله تعالى أيضاً: «قُلْ كَفَى باللهِ شَهِيداً بيْنِي وبَيْنَكُمْ ومَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ»؟[١٦٦] قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك، قال: فَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ كُلِّهِ أفْهَمُ أمْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ بَعْضُهُ؟ قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كلّه، قال: فأومى بيده إلى صدره قال: عِلْمُ الكِتابِ واللهِ كُلُّهُ عِنْدَنَا، عِلْمُ الكِتابِ وَاللهِ عِنْدَنَا[١٦٧].

وفي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام: لَوْ كُنْتُ بَيْنَ مُوسى والخضرِ لأخْبَرْتُهُما أنِّي أعْلَمُ مِنْهُما ولأنْبَأْتُهُما بِما لَيْسَ في أيْدِيهِما، لأنَّ مُوسى وخضرَ أعْطِيا عِلْمَ ما كانَ ولَمْ يُعْطِيا عِلْمَ ما يَكُونُ وما هُوَ كائنٌ حتَّى تقومَ السَّاعَةُ، وقَدْ وَرِثْناهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وراثةً[١٦٨].

وفي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: إنِّي لأعْلَمُ ما في السَّمَواتِ وما في الأرْضِ، وأعْلَمُ ما فِي الجَنَّةِ وما في النَّارِ، وأعْلَمُ ما كانَ وما يكُونُ. قال: ثم سكت هنيهة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه، فقال: عَلِمْتُ ذلِكَ مِنْ كِتابِ اللهِ تعالى، إنَّ اللهَ يقُولُ: «فيهِ تِبْيانُ كُلِّ شيءٍ»[١٦٩].

وفي «تأويل الآيات» في تفسير قوله تعالى: وإنَّهُ في أمِّ الكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حكيمٌ:[١٧٠] اعلم أن الضمير في «أنه» يعود إلى علي عليه السلام لما يأتي من التأويل وإن لم نجد له ذكراً، وجاء ذلك كثيراً في القرآن وغيره، ويسمّى التفاتاً، مثل قوله تعالى: إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ[١٧١]، وقوله تعالى: تَوارَتْ بالحِجابِ.

ومن التأويل ما رواه الحسن بن (أبي) الحسن الديلمي رحمه الله

بإسناده عن رجاله إلى حماد السندي، عن أبي عبد الله عليه السلام وقد سأله سائل عن قول الله عز وجل: وإنَّهُ في أمِّ الكتابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حكيمٌ، قال: هُوَ أميرُ المُؤمنينَ عليه السلام.

وما رواه محمد بن العباس بإسناده عن الرضا عليه السلام (١٧٢) وقد تلا هذه الآية: وَأنَّهُ في أمّ الكِتابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حكيمٌ، قال: عليٌّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام.

وروى عنه عليه السلام أنه سئل: أين ذكر علي في أم الكتاب؟ فقال: في قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: «اهْدِنَا الصِّراطَ المُستَقِيمَ» وهُوَ عليٌّ عليه السلام.

وبإسناده عن أصبغ بن نباتة قال: خرجنا مع أمير المؤمنين عليه السلام حتى انتهينا إلى صعصعة بن صوحان، فإذا هو على فراشه، فلمّا رأى علياً عليه السلام خف له، فقال له علي عليه السلام: لا تتَّخِذَنَّ زيارَتَنا إيَّاكَ فخْراً عَلَى قَوْمِكَ. فقال: لا، يا أمير المؤمنين ولكن ذخراً وأجراً، فقال له: واللهِ ما عَلِمْتُكَ إلاَّ خَفيفَ المَؤُونَةِ كثيرَ المَعُونَةِ. فقال صعصعة: وأنت والله يا أمير المؤمنين ما علمتك إلا بالله لعليم، وإن الله في عينك لعظيم، وإنك في كتاب الله لعليّ حكيم، وإنّك بالمؤمنين رؤوف رحيم.

وفي دعاء يوم الغدير: وأشْهَدُ أنَّهُ الإمامُ الهادي الرَّشِيدُ أميرُ المُؤْمنينَ الَّذي ذَكَرْتَهُ في كِتابِكَ، فإنَّكَ قُلْتَ: «وإنَّهُ في أمِّ الكِتابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكيمٌ»(١٧٣).

وفي «تأويل الآيات»: حم، والكِتابِ المُبينِ، إنَّا أنْزَلْناهُ في لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ، فيها يُفْرَقُ كُلُّ أمرٍ حكيمٍ(١٧٤)، عن «الكافي» عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم، قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام وقد أتاه رجل نصراني وسأله عن مسائل، منها أن قال له: أسألك أصلحك الله؟ قال: سل، فقال: أخبرني عن كتاب الله الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وآله ونطق به، ثم وصفه بما وصفه، وأن له تفسيراً ظاهراً وباطناً، فقوله

عز وجل: حم، والكتاب المُبين ـ الآية، ما تفسيرها في الباطن؟ فقال: أمّا «حم»، فمُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ في كتابِ هُودٍ الَّذي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، وهُوَ مَنْقُوصُ الحُرُوفِ. وأمَّا «الكتابُ المُبينُ» فهُوَ أميرُ المُؤْمنينَ عليه السلام. وأمَّا «اللَّيْلَةُ المُبارَكَةُ» فهِيَ فاطمةُ عليها السلام. وقَوْلُهُ: «فيها يُفْرَقُ كُلُّ أمْرٍ حَكِيمٍ» يَقُولُ: يَخْرُجُ مِنْها خَيْرٌ كثيرٌ: رَجُلٌ حكيمٌ، ورَجُلٌ حكيمٌ(١٧٥).

وفي بعض كتب العامّة عن ابن عباس قال: والله لقد أعطى عليٌّ تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر» رواه الطبري(١٧٦).

وفيه عن علقمة بن عبد الله قال: كنت عند النبي ﷺ فسئل عن علي عليه السلام، فقال: قُسِّمَت الحِكْمَةُ عَشْرَةَ أجْزَاءٍ، فأُعْطِيَ عَلِيٌّ عليه السلام تِسْعَةَ أجْزاءٍ، وَالنَّاسُ جُزْءاً واحِداً(١٧٧).

وفي «الكافي» بإسناده عن سورة بن كليب، عن أبي عبد الله عليه السلام: واللهِ يا سَوْرَةُ، إنَّا لَخُزّانُ عِلْمِ اللهِ في السَّماءِ، وخُزّانُ عِلْمِ اللهِ في الأرْضِ(١٧٨).

وفي «تأويل الآيات» في تفسير: الرَّحْمَنُ، علَّمَ القُرآنَ، خَلَقَ الإنْسانَ، عَلَّمَهُ البَيَانَ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: ذاكَ أميرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام، عَلَّمَهُ اللهُ سُبْحانَهُ بَيانَ كُلِّ شيءٍ يَحْتاجُ إلَيْهِ النَّاسُ(١٧٩).

وعن «الاحتجاج» بإسناده إلى عبد الله بن جعفر الحميري، بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: نَحْنُ واللهِ نَعْلَمُ ما في السَّمواتِ وما في الأرْضِ وما في الجَنَّةِ وما في النَّارِ وما بَيْنَ ذلكَ. قال حمّاد: فنهضت إليه أنظر فقال: يا حَمّادُ إنَّ ذلكَ في كتابِ اللهِ، يقولها ثلاثاً ثم تلاه: «يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهيداً عَلَيهِمْ مِنْ أنْفُسِهِمْ وجِئْنا بِكَ شَهيداً على هَؤُلاءِ ونَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شيْءٍ وهُدىً ورَحْمَةً

وبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ»[180] إنَّهُ مِنْ كِتابِ اللهِ الَّذي فيه تِبْيانُ كُلِّ شيءٍ يَحْتاجُ النَّاسُ إلَيْهِ[181].

وفي «تأويل الآيات» عن الحسن بن (أبي) الحسن الديلمي بإسناده عن أبي الحسن موسى عليه السلام في تفسير: ن، والقلَمِ وما يَسْطُرونَ: فَالنُّونَ اسْمٌ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، والقَلَمُ اسْمٌ لأمِيرِ المُؤْمِنِينَ عليه السلام. ولا يخفى أن هذا موافق لما جاء من أسمائه مثل طه ويس وص وق[182].

وفي «بصائر الدرجات» قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لَقَدْ سُئِلَ العَالِمُ مَسْأَلَةً لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ جوابٌ، ولَقَدْ سَأَلَ العالِمُ عَنْ مُوسى مسْأَلَةً لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ جوابٌ، ولَوْ كُنْتُ بَينَهُمَا لأَخْبَرْتُ كُلَّ واحداً مِنْهُما بِجَوابِ مَسْأَلَتِهِ، وَلَسَأَلْتُهُما عَنْ مَسْأَلَةٍ لا يَكُونُ عِنْدَهُما جَوابٌ[183].

وفي «بصائر الدرجات» عن أبي عبد الله عليه السلام: لَوْ كُنْتُ بَيْنَ يَدَيّ مُوسى والخِضْرِ لأَخْبَرْتُهُما أنّي أعْلَمُ مِنْهُما، ولأَنْبَأْتُهُما بِمَا لَيْسَ في أيْدِيهِما[184].

وفي «بصائر الدرجات» عن عبد الله بن الوليد: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أيُّ شَيْءٍ يَقُولُ الشِّيعَةُ في مُوسى وعِيْسَى وأميرِ المُؤْمِنِينَ عليه السلام؟ (قلت: يقولون: إن عيسى وموسى أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام) فقال: يَزْعَمُونَ أنَّ أميرَ المُؤْمِنِينَ عليه السلام قَدْ عَلِمَ ما عَلِمَ رسُولُ الله صلى الله عليه وآله؟ فقلت: نعم، ولكن لا يقدمون على أولي العزم من الرسل أحداً، قال أبو عبد الله عليه السلام فخاصمهم بكتاب الله. قلت: و (في) أي موضع منه أخاصمهم؟ قال: قال الله تَبَارَكَ وتعالى: (لِمُوسَى) «وَكَتَبْنَا لَهُ في الأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً»[185] عَلِمْنا أنَّهُ لَمْ يَكْتُبْ لِمُوسَى كُلَّ شيءٍ. وقالَ اللهُ تعالى لِعيسى عليه السلام: «ولأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذي تَخْتَلِفُونَ فيهِ»[186]. وقال تبارَكَ وتعالى لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله: «وَجِئْنَا بِكَ

شَهيداً على هؤُلاءِ، ونَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شيءٍ»[187]. [188] علماً.

وفي «بصاير الدرجات» عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الله خَلَقَ أولي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وفَضَّلَهُمْ بالعِلْمِ، وأوْرَثْنا عِلْمَهُمْ، وفَضَّلْناهُمْ على عِلْمِهِمْ، وعَلَمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله ما لَمْ يَعْلَمُوا، وعَلِمْنا عِلْمَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وعِلْمَهُمْ[189].

وفي كتاب «مطالب السؤول» عن «حلية» الإمام الحافظ، عن عبد الله قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله فسئل عن علي عليه السلام، قال: قُسِّمَتِ الحِكْمَةُ عَشَرَةَ أجْزَاءٍ، فأُعْطِيَ عليٌّ تِسْعَةَ أجْزَاءٍ، والنَّاسُ جُزْءاً واحِداً[190].

وفي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانَ في ذُؤابَةِ سَيْفِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله صَحِيفَةٌ صغيرَةٌ. فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: أي شيء كان في تلك الصحيفة؟ قال: هِيَ الأحْرُفُ الَّتي يَفْتَحُ كُلُّ حَرْفٍ ألْفَ حَرْفٍ. قال أبو بصير: قال أبو عبد الله عليه السلام: فما خَرَجَ مِنْها حَرْفانِ حتَّى السَّاعَةِ[191].

وفي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لَمَّا حَضَرَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله المَوْتُ دَخَلَ عَلَيْهِ عليٌّ عليه السلام فأدْخَلَ رَأْسَهُ ثُمَّ قالَ: يا عليٌّ، إذا أنا مِتُّ فَغَسِّلْنِي وكَفِّنِّي، ثمَّ اقْعِدْنِي واسْألْنِي واكْتُبْ[192].

وفي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: إذا فَرَغْتَ مِنْ غُسْلي وكَفَنِي فَخُذْ بِجَوامِعِ كَفَنِي وأجْلِسْنِي واسْألْنِي عمَّا شِئْتَ، فوَاللهِ لا تسْألُني عَنْ شَيْءٍ إلاَّ أُجِيبُكَ[193].

حضور الأئمة عليهم السلام عند المحتضر

أيها العزيز! قد وقع السيد المرتضى رحمه الله بسبب بعض القواعد الكلامية والعلوم المقالية في شبهة وأنكر حضور أمير المؤمنين عليه السلام عند سؤال منكر ونكير[١٩٤]، فلهذا يلزم دفع شبهته في هذا الفصل.

ففي «منهاج الحق واليقين» عن كتاب «الأربعين» عن اسحاق الأزرق، عن عبد الملك بن سليمان قال: وجد في ذخيرة حواري عيسى عليه السلام في رق مكتوبات بالقلم السرياني منقول عن التوراة، وذلك: لمّا تشاجر موسى وخضر عليهما السلام في قصّة السفينة والغلام والجدار ورجع موسى إلى قومه، فسأله أخوه هارون عمّا استعمله من الجدار وشاهده من عجائب البحر، فقال موسى عليه السلام: بينما أنا والخضر على شاطىء البحر إذ سقط بين أيدينا طائر فأخذ في منقاره قطرة من ماء البحر ورمى (بها) نحو المشرق، ثم أخذ ثانية ورمى بها نحو المغرب، ثم أخذ ثالثة ورمى بها نحو السماء، ثم أخذ رابعة ورمى بها نحو الأرض، ثم أخذ خامسة وألقاها في البحر. فبهتّ أنا والخضر من ذلك، فسألته عنه، فقال: لا أعلم. فبينا نحن في ذلك وإذا بصيّاد يصيد في البحر، فنظر إلينا وقال: ما لي أراكما في فكرة من أمر الطائر؟ فقلنا: هو كذلك، فقال: أنا رجل صيّاد فقد علمت إشارته وأنتما نبيّان لا تعلمان! فقلنا: لا نعلم إلا ما علمنا الله عز وجل، فقال: هذا طائر في البحر يسمى مسلماً، لأنّه إذا صاح يقول في صياحه: مسلم مسلم، فإشارته برمي الماء من منقاره نحو المغرب والمشرق ونحو السماء والأرض وفي البحر، يقول: يأتي في آخر الزمان نبي يكون علم أهل السماوات والأرض والمشرق والمغرب عند علمه هذه القطرات الملقيات في البحر،

ويرث علمه ابن عمّه ووصيّه علي بن أبي طالب عليه السلام . وعند ذلك سكن ما كنّا فيه من التشاجر، واستقل كل واحد منّا علمه(١٩٥).

وإذا كان علم أهل السماوات والأرض عند علمه كالقطرات الملقيات في البحر، وموسى وخضر عليهما السلام وهما نبيّان، ولا يكون رجحان الفضائل إلا بالعلم وزيادته وهو حاصل لعلي عليه السلام(؟).

وروى هذا الحديث سعد بن ابراهيم الشافعي في أربعينه، عن الحافظ جمال الدين أبو الخطاب حسين بن دحية الكلبي المغربي الأندلسي، عن عمار بن خالد، عن اسحاق الأزرق، عن عبد الملك بن سليمان قال: وجد في ذخيرة حواري عيسى عليه السلام، إلى أن قال الصيّاد: فإشارته رمى من منقاره إلى المشرق إلى أن يبعث نبياً بعد كما تملك أمّته المشرق والمغرب، ويصعد إلى السماء، ويدفن في الأرض. وأمّا رميه الماء في البحر يقول: إن علم العالم عند علمه مثل هذه القطرة عند هذا البحر، ويرث علمه وصيّه وابن عمه. فسكن ما كنّا فيه من المشاجرة، واستقل كل منّا علمه بعد أن كنّا معجبين بأنفسنا. ثم غاب الصياد عنّا فعلمنا أنّه ملك بعثه الله تعالى إلينا ليعرّفنا منقصتنا حيث ادعينا.

فيا عزيزي! فإذا كان موسى عليه السلام برسالته وعزمه لم يتحمل علم الخضر، فلا تستبعد إنكار السيد المرتضى رحمه الله لحضور الإمام حين سؤال منكر ونكير. وقد علمت أن علم جميع أهل السماء والأرض. ومنهم موسى والخضر عليهما السلام . بالنسبة لعلمه عليه السلام كالقطرة من البحر. وعلم السيد المرتضى كسبي استدلالي.

قدم الاستدلاليين خشبية والقدم الخشبية غير مكينة

وذكر أن تلامذة الفخر الرازي رأوه يوماً يبكي فسألوه: ما الخبر؟ قال: الليلة تبين لي مسألة كنت أعتقد خلافها طيلة ثلاثين سنة، وما

يدريني أن يكون مثلها أيضاً.

روى الكليني والصدوق وغيرهم في أخبار كادت تكون متواترة عن الأئمة عليهم السلام أنه ما من مؤمن يموت إلاّ ويحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام فإذا رآهما استبشر(١٩٦).

وروي أن الحارث بن أعور الهمداني قال لأمير المؤمنين عليه السلام: إني أحبكم وأخاف حالتين من حالاتي: وقت النزع وحالة المرور على الصراط. فقال له علي عليه السلام: لا تخف يا حار. فما من أحد من أوليائي ومن أعدائي إلا ويراني في هاتين الحالتين وأراه ويعرفني وأعرفه.

يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا
يعرفني طرفة وأعرفه ... بنعته واسمه وما فعلا
وأنت عند الصراط معترضي ... فلا تخف عثرة ولا زللا
أقول للنار حين توقف لل ... عرض ذريه لا تقربي الرجلا
ذريه لا تقربيه إن له ... حبلاً بحبل الوصي متّصلا
أسقيك من بارد على ظمأ ... تخاله في الحلاوة العسلا
هذا لنا شيعة وشيعتنا ... أعطاني الله فيهم الأملا(١٩٧)

واعترض بأنّه إذا مات ألف مؤمن في لحظة واحدة فكيف السبيل؟ ولم يفهم هذا المعترض الدليل، ولم يعلم أن علم الإمام عليه السلام لا يقاس بعلم الأنام، ولا هو مبني على قواعد الكلام التي هي أيضاً غير تمام، ولم يعلم أن الإمام عليه السلام هو الاسم الأعظم حقيقة، وأن الله على كل شيء قدير، وأن الإمام عليه السلام يد الله المبسوطة والقدرة المقتدرة، وأن الإمام عليه السلام عين الله الناظرة في عباده، وعين الله مطلعة على سائر العباد، فهو في العالم كالشمس لأنه نور الحق في الخلق، وشعاعه مظل على سائر العالم، وهو حجاب الله في عالم

الصور: وإليه الإشارة بقوله ﷺ: يا عَلِيٌّ لا يَحْجُبُكَ عنِ اللهِ حِجَابٌ وهو الستر والحجاب. فالإمام نور إلهي وسر برهاني، وتعلقه بهذا الجسد الهيولاني عارضي. قال سبحانه: وأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا(١٩٨)، ونور الرب(١٩٩) هو الإمام الذي بنوره يشرق الظلم، وبه يستضيءُ سائر العالم.

عن النبي ﷺ أنّه قال: للشَّمْسِ وَجْهانِ: وَجْهٌ يلي أهْلَ السَّماءِ، ووَجْهٌ يَلي أهْلَ الأرْضِ. وعَلَى الوَجْهَيْنِ مِنْها كتابَةٌ، فالكتابَةُ الَّتي يلي أهْلَ السَّمَاءِ: «اللهُ نُورُ السَّماواتِ»(٢٠٠)، والكِتابَةُ الَّتي يلي أَهْلَ الأَرْضِ: «عليٌّ نُورُ الأَرْضِ»(٢٠١). فالإمام عليه السلام مع الخلق كلهم لا يغيبون عنه ولا يحجبون عنه، بل هو محجوب عنهم؛ والدنيا عند الإمام عليه السلام كالخاتم في يده، يقلّبه كيف يشاء. وسيأتي ذلك إن شاء الله في حديث الغمامة.

وفي «النوادر» عن تفسير علي بن إبراهيم، عن الصادق عليه السلام في حديث المعراج، إلى أن ساق: قال النبي ﷺ لجبرئيل عليه السلام: فقُلْتُ: أكُلُّ مَنْ ماتَ أوْ هُوَ مَيِّت فيما بَعْدُ، هذا يَقْبِضُ رُوحَهُ؟ فقالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وتَراهُمْ حَيْثُ كانُوا وتَشْهَدُهُمْ بِنَفْسِكَ؟ فقالَ: نَعَمْ، فقالَ مَلَكُ المَوْتِ: أمَّا الدُّنْيا كُلُّها عِنْدي فيما سَخَّرَها لي ومَكَّنَني عَلَيْها لَيْسَ إلاَّ كالدِّرْهَمِ في كَفِّ الرَّجُلِ يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، ولا مِنْ دارٍ إلاَّ وأنَا اتَصَفَّحُهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ(٢٠٢).

وفي «العيون» عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لَمَّا أُسْرِيَ بي إلَى السَّمَاءِ رَأَيْتُ في السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ رَجُلاً قاعداً رِجْلاً لَهُ في المَشْرِقِ ورِجْلاً لَهُ في المَغْرِبِ، وبِيَدِهِ لَوْحٌ يَنْظُرُ فيهِ ويُحَرِّكُ رَأْسَهُ، فَقُلْتُ: يا جَبْرَئِيلُ مَنْ هذا؟ فقال: مَلَكُ المَوْتِ(٢٠٣).

وفي «العيون» عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ

اللهَ سَخَّرَ ليَ البُراقَ وهيَ دابَّةٌ منْ دوابِّ الجَنَّة لَيْسَتْ بالقَصيرِ ولا بالطَّويلِ، فَلَوْ أنَّ اللهَ تعالى أذنَ لها لجَالَتِ الدُّنيا والآخِرَةَ في جَرْيَةٍ واحدةٍ، وهيَ أحْسَنُ الدَّوابِّ لَوْناً[٢٠٤].

فإذا كان الله سبحانه وتعالى يعطي مثل هذه القدرة لدابة من الدواب، فلماذا تستبعد أطوار رجل يقول: أنا قدرة الله.

وفي أوائل «جرايح الخرايج» عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: أعْظَمُ النَّاسِ ذَنْباً وأكْثَرَهُمْ إثْماً على لسان مُحَمَّد صلى الله عليه وآله الطّاعِنُ على عِلْمِ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، والمُكَذِّبُ ناطِقَهُمْ، والجاحِدُ مُعْجِزَاتِهِمْ. ثم قال: «إن من أنكر المعجزة لعلي وأولاده الأحد عشر عليهم السلام مع إثباته للنبي صلى الله عليه وآله فإنّه جاهل بالقرآن وقد أخبرنا الله سبحانه عن آصف بن برخيا وصي سليمان عمّا أتى به من المعجزات من عرش ملكة اليمن، وكان سليمان يومئذ ببيت المقدس، فقال وصيّه هذا: أنَا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إليْكَ طَرْفُكَ[٢٠٥]، وارتداد الطرف ما لا يتوهّم فيه ذهاب زمان ولا قطع مسافة، (وكان) بين بيت المقدس والموضع الذي فيه عرشها باليمن مسيرة خمسمائة فرسخ ذاهباً وخمسمائة فرسخ راجعاً، فأتاه به وصيّه من هذه المسافة قبل ارتداد الطرف»[٢٠٦] انتهى.

انظر ـ أرشدنا الله وإياك إلى صراط علي المستقيم ـ هذا آصف وصي سليمان وقد بلغ من المنزلة ما عرفت بواسطة أنّه كان يعلم اسماً من أسماء العظام فأي مرتبة يثبت لعلي عليه السلام مع كونه وصي محمد صلى الله عليه وآله وأنه عليه السلام كان يعلم اثنين وسبعين اسماً من أسماء العظام، بل عرفت أنّه الاسم الأعظم؟!

وفي «الخرايج» عن صفوان بن يحيى قال: قال لي العبدي: قال: لي أهلي: قد طال عهدنا بالصادق عليه السلام فلو حججنا وجددنا به العهد،

فقلت لها: والله ما عندي شيء أحج به. فقالت: عندنا كسوة وحلى، فبع ذلك وتجهز به. ففعلت، فلمّا صرنا قرب المدينة مرضت مرضاً شديداً وأشرفت على الموت. فلمّا دخلنا المدينة خرجت من عندها وأنا آيس منها، فأتيت الصادق عليه السلام وعليه ثوبان ممصّران، فسلّمت عليه فأجابني، وسألني عنها، فعرّفته خبرها، فقلت: إنّي خرجت وقد أيست منها، فطرق مليّاً ثم قال لي: يا عَبْدِي، أنتَ حزينٌ بِسببِها؟ قلت: نعم، قال: لا بَأْسَ عليْها فَقَدْ دَعَوْتُ اللهَ لها بالعَافِيَة، فارْجِعْ (إلَيْها) فإنَّكَ تَجِدُها قَدْ أفاقَتْ وهِيَ قاعِدَةٌ والخَادِمَةُ تُلَقِمُها الطَّبَرْزَد.

قال: فرجعت إليها مبادراً فوجدتها قد أفاقت وهي قاعدة والخادمة تلقمها الطبرزد، فقلت: ما حالك؟ قالت: قد صبّ الله علي العافية صبّاً، وقد اشتهيت هذا السكر، فقلت: قد خرجت من عندك آيساً، فقد سألني الصادق عليه السلام عنك فأخبرته بحالك، فقال: لا بأس عليها، ارجع إليها فهي تأكل السكر. قالت: خرجت من عندي وأنا أجود بنفسي، فدخل علي رجل وعليه ثوبان ممصّران، قال: ما لك؟ قلت: أنا ميّتة وهذا ملك الموت قد جاء لقبض روحي، فقال: يا ملك الموت، قال: لبّيك أيّها الإمام، قال: ألست أمرت بالسمع والطاعة لنا؟ قال: بلى، قال: فإني آمرك أن تؤخّر أمرها عشرين سنة، قال: السمع والطاعة. قالت: فخرج هو وملك الموت من عندي، فأفقت من ساعتي(٢٠٧).

فيا عزيزي! قد ظهر مما بيّناه لك أن أجسامهم ليست كأجسامنا، وأن أطوارهم وأحوالهم لا ينبغي أن تقاس بأحوالنا وأطوارنا.

وقد علمت الجواب على الشبهة الأخرى للسيد المرتضى القائل بعدم إمكان وجود جسم واحد في مكانين من خلال حديث العبدي وحديث «بصائر الأنوار» وسائر الأخبار.

قال في «الخرائج»: «وكان لكل (عضو) من أعضاء النبي ﷺ معجزة، ومعجزة بدنه أنه لم يقع ظله على الأرض لأنه كان نوراً، ولا يكون من النور الظل كالسراج». وسيأتي أن ذلك ثابت لكل من الأئمة عليهم السلام أيضاً.

وإذا قال السيد المرتضى إن هذه هي معجزته، فالجواب أن تعلق روحه بأبدان متعددة أو تكوين أبدان متعددة في آن واحد هو أيضاً من معجزاته.

وفي «عين الحياة» قال: «جاء رجل إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام، فسأله الإمام: من أنت؟ قال: أنا منجّم. فقال عليه السلام: هل أخبرك عن رجل قد عبر أربعة عشر عالماً منذ مجيئك إلينا وإلى الآن، وكل عالم ثلاثة أضعاف هذا العالم، ولم يتحرك من مكانه؟ فقال المنجم: ومن هو؟ قال عليه السلام: أنا، وإذا أردت أخبرك ما أكلت وما ادّخرت في بيتك»[٢٠٨].

أيها العزيز! يقول علماء الفلك: إنه في الوقت الذي يتلفظ الإنسان بكلمة واحدة فإن الفلك الأعظم يكون قد قطع ١٧٣٢ فرسخاً. ويقول المتشرعة أن الملك يقطع في أقل من لمح البصر ألف سنة. ولا استبعاد من أحد لما قيل نظراً لقدرة الله فلماذا تنكر ما ينسب إلى قدرة الله وسر الله وعلم الله!

وفي «الخرايج» عن خالد بن نجيح قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده خلق، فجلست ناحية وقلت في نفسي: ما أغفلهم عند من يتكلمون! فناداني: إنَّا والله عِبادٌ مَخْلُوقُونَ، لي رَبٌّ أعْبُدُهُ، إنْ لَمْ أعْبُدْهُ عَذَّبَني بالنَّارِ. قلت: لا أقول فيك إلا قولك في نفسك[٢٠٩]. قال عليه السلام: إجْعَلُونَا عَبِيداً مَرْبُوبِينَ وقُولوا فينا ما شِئْتُمْ إلاَّ النُّبُوَّةَ[٢١٠].

وفي «الخرايج» في حديث طويل أنّه قال الرضا عليه السلام لعالم من

النصارى: هَلْ تَعْرِفُ لعيسى عليه السلام صَحيفةً فيها خَمْسَةُ أسْماء يُعَلِّقُها في عُنُقِه، إذا كانَ بالمَغْرِب فأرادَ المَشْرِقَ فَتَحَها فأقْسَمَ على اللهِ باسْمِ واحدٍ مِنَ الخَمْسَةِ أنْ تَنْطَوِي لهُ الأرْضُ، مِنَ المَغْرِبِ إلى المَشْرِقِ وَمِنَ المَشْرِقِ إلَى المَغْرِبِ في لَحْظَةٍ؟ فقال: لا علم لي بالصحيفة، والأسماء الخمسة كانت معه بلا شك يسأل الله بها أو بواحد منها، يعطيه الله كل ما يسأله. قال: الله أكْبَرُ، إذا لَمْ تُنْكِرِ الأسْمَاءَ، فَهُوَ الغَرَضُ[٢١١].

وفي «بصاير الدرجات» عن كامل التمّار قال: كنت: عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم فقال لي: إجْعَلُوا لَنا رَبّاً نَؤُوبُ إلَيْهِ، وقُولُوا فينا ما شِئْتُمْ[٢١٢]. وفي رواية: إجْعَلُونَا مَخْلُوقِينَ، وقُولُوا فينا ما شِئْتُمْ ولَنْ تَبْلُغُوا[٢١٣].

وفي «الخصال» عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إيَّاكُمْ والغُلُوَّ فينا، قُولُوا إنَّا عَبيدٌ مَرْبُوبُونَ، وقُولُوا في فَضْلِنا ما شِئْتُمْ[٢١٤].

وفي كتاب «الغيبة» للشيخ رحمه الله: خرج في جواب كتابة جماعة من الناحية المقدسة بخطّه صلوات الله وسلامه عليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

عافانَا اللهُ وإيَّاكُمْ مِنَ الضَّلالِ والفتَنِ، وَوَهَبَ لَنا ولَكُمْ رُوحَ اليَقِينِ، وآجارَنا وإيَّاكُمْ مِنْ سُوءِ المُنْقَلَبِ، إنَّهُ أُنْهِيَ إلَيَّ ارْتِيابُ جماعَةٍ مِنْكُمْ في الدِّينِ وما دَخَلَتْهُمْ مِنَ الشَّكِّ والحَيْرَةِ في ولاةِ أُمُورِهِمْ، فَغَمَّنا ذلكَ لَكُمْ لا لَنا، وساءنا فيكُمْ لا فينا، لأنَّ اللهَ مَعَنا، لا فاقَةَ بنا إلى غَيْرِه، والحَقُّ مَعَنا فَلَنْ يُوحِشَنا مِنْ قَعَدَ عَنَّا، ونَحْنُ صَنايِعُ رَبِّنا، والخَلْقُ بَعْدُ صنايِعُنا[٢١٥].

وفي «نهج البلاغة» في جواب كتابة معاوية قال عليه السلام: فإنَّا صنايِعُ رَبِّنا، والنّاسُ بَعْدُ صنايِعُ لنا[٢١٦].

تحقيق في التنزيه والتشبيه

أيها العزيز! لأن فهم الكثير من الأخبار المتقدمة والآتية متوقف على ما ذكره بعض أهل المعرفة في التنزيه والتشبيه، لهذا يذكر هذا الضعيف شيئاً منه.

فاعلم أن تنزيه الحق عن بعض الأمور بمقتضى العقل العرفي واستحسان الفكر العادي هو تقييد لجنابه بما عدا تلك الأمور، إذ الإطلاق لمن يجب له الإطلاق تقييد له بهذا الوصف، مع أنه مطلق عن الإطلاق كما أنه مطلق عن التقييد. فكما أن القائل بالتشبيه بلا تنزيه ناقص المعرفة ـ كالمجسِّمة الذين وضعوا حداً في التشبيه واعتبروا المطلق محدوداً ومقيداً ـ كذلك فإن القائل بالتنزيه بلا تشبيه ناقص المعرفة من جهة إن المقيد حق مطلق والمحدود غير محدود (عنده). فبمقدار ما نزّه الحق يكون محروماً ومهجوراً من معرفة تعيناته وتنوعات ظهوره سبحانه. ولا يعلم أن تنزيهه عن الجسمانيات تشبيه له بالعقول والنفوس، وتنزيهه عن العقول والنفوس تشبيه له بالمعاني المجردة عن الصور العقلية والنفسية، وتنزيهه عن الجميع، إلحاق له بالعدم، وتحديده العدمي بالأعدام اللامتناهية تعالى عن ذلك علواً كبيراً. لأن الموجودات المتحققة الوجود منحصرة في هذه الأقسام، والخارج منها، تحكم وهمي وتوهم تخيلي.

فالعارف المحقق والكامل المدقق هو الذي ينزه الحق من حيث ذاته عن التشبيه والتنزيه، ومن حيث معيّته للأشياء أو ظهوره بها، يجمع بين التشبيه والتنزيه، ويثبت كل واحد في مقامه، وينعت الحق بالتنزيه والتشبيه بالاعتبارين ـ كما جاء به الشرع ـ من غير تصرف بعقله

الناقص ولا تأويل للمتشابه إلا لمصلحة تفهيم من لا يفهم. كيف؟ والعقول المقيدة في القوى المزاجية المقيدة جزئية كذلك بحسبها؛ وأنى للعقول المقيدة الجزئية أن تدرك الحقائق المجردة المطلقة من حيث هي كذلك إلا أن تطلق من قيودها بحسب شهوده ووجوده، فإن المحدَث لا يدرك إلا المحدَّث.

وقد جمع الله بين التشبيه والتنزيه في آية واحدة، فقال: «ليس كمثله شيء» فنزّه. «وهو السميع البصير»، فشبّه. وإذا كانت الكاف غير زائدة ويكون معنى الثاني أنه لا سميع ولا بصير في الحقيقة إلا هو، يكون الأول تشبيهاً، لأنه إثبات للمثل، وإن كان تنزيهاً أيضاً لأحقّيته بالتنزيه من المثل أيضاً ويكون الثاني أيضاً تنزيهاً عن أن يشاركه في السمع والبصر. وعلى تقدير زيادة الكاف يحتمل التشبيه أيضاً، فإن من تميّز عن المحدود فهو محدود بكونه ليس عين هذا المحدود وإن أخذنا على معنى نفي مثل من هو على صفته، فإن نفي المثل قد يطلق على هذا من غير قصد إلى نظير له؛ كما يقال: «مثلك لا يبخل» أي من هو ذو فضيلة مثلك لا يتأتّى منه البخل، والمراد نفسه، والمبالغة في نفي البخل عنه بالبرهان أي أنت لا تبخل لأن فيك ما ينافي البخل. فيكون المعنى نفي المثل بطريق المبالغة. أي ليس من هو على صفته من الصمدية وقيّوميته لكل شيء، إذ لا شيء إلا وهو به موجود، أي بوجوده، فهو عين الأشياء، فهو محدود بحدود كل ذي حد، إذ هو الساري فيها كلها بل هو الكون كله، فهو تشبيه وهو بعينه تنزيه، إذ هو نفي لما سواه.

وأيضاً إذا أحاط بالكل ولم ينحصر في واحد منها ولا في الكل، لم يكن محدوداً، فسبحان من تنزه عن التشبيه بالتنزيه، وعن التنزيه بالتشبيه.

وقال القيصري في «شرح فصوص الحكم»: «قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. الآية، تشبيه وتنزيه. أي تنزيه في عين التشبيه، حيث نفى عن كل شيء مماثلة مثله في مثليته وهو عين التشبيه، لأنّه إثبات المثل. ولما نفى عن كل شيء مماثلة المثل نزه الحق أن يكون مثل له، لأنّه شيء من الأشياء فلا يماثل ذلك المثال. وإذا لم يكن مثل مثله فبان أنّه أحرى أن يكون ذلك مثل ليس مثلاً له؛ وذلك غاية التنزيه فهو تشبيه في تنزيه، وتنزيه في تشبيه، وهُوَ السَّميعُ البَصِيرُ تشبيه في عين التنزيه، لأنّه أثبت له السمعية والبصرية اللتين هما صفتان ثابتان للعبد، وهو محض التشبيه: لكنّه خصهما به بالصفة المفيدة للحصر حيث حمل الصفتين المعرفتين بلام الجنس على ضميره، فأفاد أنّه هو السميع وحده لا سميع غيره، وهو البصير وحده لا بصير سواه، وهو عين التنزيه».

أيها العزيز! إن روحك ليست حالّة في أي عضو من أعضائك مع أن كل عضو منك ليس خالياً منها؛ وهي ليست متقدرة بتقدر الأعضاء، ولا متعددة أو متكثرة بتكثرها. وأنانيتك هي المدركة والمحركة والمفكرة والمدبرة، والأعضاء هي مظهرها وكسوتها، وهي قوام الأعضاء وحقيقتها. وكذلك نسبة الحق سبحانه لجميع الموجودات كنسبة روحك إلى أعضائك. فحقيقة جميع الموجودات واحدة، وليست حالّة في أي منها، مع أنها لا تخلو من أي منها. كما قال سيد الموحدين عليه السلام: «لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن[٢١٨]. وليس متقدراً بتقدرها ولا متعدداً بتعددها، وهو في الحقيقة مدرك ومحرك ومفكر ومدبر في الجميع، وهو قوام الكل وحقيقة ونور الكل كما قال: «فبي يسمع وبي يبصر. وقوله عليه السلام: من عرف نفسه فقد عرف ربه[٢١٩]. وأن ليس في الوجود إلا الله.

وقال آخر: إن الله هوية كل شيء وكل عضو. وقال: كما أن صورتك

تثني على روحك، كذا صورة العالم تسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم. وقال أيضاً: العالم صورة الحق، وهو روح العالم المدبر له، فهو الإنسان الكبير.

والخواجه أفضل الدين الكاشي رَحِمَهُ اللهُ يقول: كما اطلعت أن في عالم البشر تتور آلات الأجساد الظاهرة بالأرواح الباطنة، كذلك النفس كمصباح في زجاجة، والأرواح كالزجاجة في مشكاة والأجساد كالمشكاة، فيمكنك أن تعلم أن الأرواح والأنفس للأجساد كالحق تعالى للموجودات. جلت عظمته، فبه تتورت الأشياء كلها».

وفي «كفاية الأثر» عن يونس بن ظبيان قال: دخلت على الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ فقلت: يا بن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إني دخلت على مالك وأصحابه وعنده جماعة يتكلمون في الله عز وجل، بعضهم يقول: إن لله تبارك وتعالى وجهاً كالوجوه؛ وبعضهم يقول: هو شاب من أبناء ثلاثين سنة. فما عندكم في هذا يا بن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ قال: وكان متوكياً، فاستوى جالساً وقال: اللَّهُمَّ عَفْوَكَ عَفْوَكَ. ثم قال: يا يُونُسُ، مَنْ زَعَمَ أنَّ لله وجْهاً كالوُجُوهِ فَقَدْ أشْرَكَ، ومَنْ زَعَمَ أنَّ لله جَوارِحَ كَجَوارِحِ المَخْلُوقِينَ فَهُوَ كافِرٌ، فلا تَقْبَلُوا شهادَتَهُ، ولا تَأْكُلُوا ذَبِيحَتَهُ، تعالى عمَّا يَصِفُهُ المُشَبِّهُونَ بِصِفَةِ المَخْلُوقِينَ. فَوَجْهُ اللهِ أنْبِياؤُهُ وأوْلِياؤُهُ(٢٢٠).

الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عالم الجبروت وعالم الأمر

أيها العزيز! حيث ذهب البعض إلى أن عالم الجبروت هو عالم الصفات وعالم الأمر الذي هو عالم الأفعال عبارة عن الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وتمسك لهذا المطلب بأخبار تدل في الظاهر على هذا الأمر، فإن هذا الضعيف يذكر شيئاً حول هذا المطلب.

ففي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ولله الأسماءُ الحُسْنَى فادْعُوهُ بها، قال: نَحْنُ واللهِ الأسْمَاءُ الحُسْنَى الَّتِي لا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلاً مِنَ العِبَادِ إلاَّ بِمَعْرِفَتِنا(٢٢١).

وعن علي عليه السلام: أنَا أسماءُ اللهِ الحُسْنَى الَّتي أمر اللهُ أنْ يُدْعَى بِها(٢٢٢).

وفي «الكافي»(٢٢٣) عن أبي عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: كُلُّ شيءٍ هَالِكٌ إلاّ وجْهَهُ، فقال: ما يَقُولُونَ فيه؟ قلت: يقولون: يهلك كل شيء إلاّ وجه الله. فقال: سُبْحانَ اللهِ! لَقَدْ قالُوا قَوْلاً عَظِيماً، إنَّما عَنَى بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ الَّذي يُؤْتَى مِنْهُ(٢٢٤).

وفي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام: إنَّ اللهَ خَلَقَنا (فَأحْسَنَ خَلْقَنَا) وَصَوَّرَنا وَأحْسَنَ صُوَرَنا، وَجَعَلَنا عَيْنَهُ في عباده، ولسانَهُ النّاطِقَ في خَلْقِه، ويَدَهُ المَبْسُوطَةَ على عِبَادِه بالرّأفَةِ والرَّحْمَةِ، وَوَجْهَهُ الَّذي يُؤْتَى مِنْهُ، وبابَهُ الَّذي يَدُلُّ عَلَيْه، وخُزّانَهُ في سَمَائِه وأرْضِه، بِنَا أثْمَرَت الأشْجَارُ، وأيْنَعَت الثِّمارُ، وجَرَت الأنْهارُ، وبنا يَنْزِلُ غَيْثُ السَّمَاءِ، وَيَنْبُتُ عُشْبُ الأرْضِ، وبِعِبَادَتِنا عُبِدَ اللهُ، وَلَوْلا نَحْنُ ما عُبِدَ الله(٢٢٥).

وفي «العيون» عن علي بن موسى الرضا عليه السلام في جملة حديث: يا أبَا الصَّلْت، مَنْ وَصَفَ اللهَ بِوَجْهٍ كالوُجُوهِ فَقَدْ كَفَرَ، ولكِنْ وَجْهُ الله أنبِيَاؤُهُ ورُسُلُهُ وحُجَجُهُ صلوات الله عليهم الَّذين بِهِمْ يُتَوَجَّهُ إلى الله عزَّ وجلَّ وَإلى دينِه وَمَعْرِفَتِه. وقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: «كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ ويَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ»(٢٢٦) وقال عزَّ وجلَّ: «كُلُّ شيءٍ هالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ»(٢٢٧).

بيان: قال بعض المتديّنين: وفي حديث أن الضمير في «وجهه» راجع إلى الشيء. وعلى هذا فمعناه أن وجه الشيء لا يهلك. وهو ما يقابل منه إلى الله، وهو روحه وحقيقته وملكوته، ومحل معرفة الله منه، التي تبقى بعد فناء جسمه وشخصه.

حديث الغمامة

روى الصدوق[٢٢٨] بإسناده قال: حدثنا أبو عبد الله بن زكريّا، عن ابن الجوهر الأسود، عن محمد بن عبد الله الصايغ، عمّن يرفعه إلى سلمان الفارسي ـ رحمه الله ـ أنّه قال:

كنّا جلوساً عند مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم حين بويع عمر بن خطاب بالخلافة، أنا وولده الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن الحنفيّة وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود الكندي ـ رحمهم الله ـ فإذا التفت إليه الحسن عليه السلام وقال: يا أمير المؤمنين، إن سليمان بن داود عليه السلام قد نال ملكاً (عظيماً) لم ينله أحد من الناس، وأعطاه الله ملكاً لم يعطه أحداً من العالمين، فهل ملكت يا أباه شيئاً من ملك سليمان؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والّذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد ملك أبوك ملكاً لا يملكه أحد بعده ولا قبله. فقال له الحسن عليه السلام: إنّا نحب أن ننظر شيئاً مما ملّكه الله إياك شيئاً من الملكوت، ليزداد في الناس إيماناً مع إيمانهم. فقال عليه السلام: نعم، حباً وكرامة.

فقام فصلى ركعتين، ثم ذهب إلى صحن داره ونحن ننظر إليه، فمدّ يده نحو المغرب حتى بان تحت ابطه وردّها وفيها سحابة، وهو يمدها حتى أوقفها على الدار، وعلى جانب تلك السحابة سحابة أخرى. ثم أشار إلى السحابة وقال: اهبطي إلينا أيّتها السحابة. قال سلمان: فوالله العظيم لقد رأينا السحابة قد هبطت وهي تقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنّك وصي رسول كريم، محمد رسول الله، وأنت وليّه، ومن شك فيك فقد هلك، ومن تمسّك بك فقد سلك سبيل النجاة».

ثم طأطأت السحابتان حتى نزلتا إلى الأرض وصارتا كأنّهما بساطان، ورائحتهما كالمسك الأذفر. فقال لنا أمير المؤمنين عليه السلام: قوموا واجلسوا على السحابة. فجلسنا كلّنا واحداً منهما، وأخذنا مواضعنا. ثم أن أمير المؤمنين عليه السلام نهض قائماً على قدميه وتكلم وأشار بالمسير نحو المغرب بما لا نعلمه ولا نفهمه. فلم يستتم كلامه إلا وريح قد دخلت تحت السحابة فرفعتها رفعاً رقيقاً في الهواء، فإذا أمير المؤمنين عليه السلام على السحابة الأخرى جالس على كرسي من نور وعليه ثوبان أصفران، وعلى رأسه تاج من ياقوت حمراء، وفي رجليه نعلان شراكهما من ياقوت يتلألأ، وفي يده خاتم من درة بيضاء يكاد نور وجهه يذهب بالأبصار.

فقال له الحسن عليه السلام: يا أبتاه إن سليمان بن داود عليه السلام كان يطاع بخاتمه، وأنت يا أمير المؤمنين بماذا تطاع؟ فقال عليه السلام: ولدي! أنا وجه الله، وعين الله، ولسان الله الناطق في خلقه، وأنا ولي الله، وأنا نور الله، وأنا باب الله، وأنا كنز الله، وأنا القدرة المقدرة، وأنا قسيم الجنة والنار، وأنا سيد الفريقين. يا ولدي أتحب أن أريك خاتم سليمان بن داود عليه السلام؟ قال: نعم. قال سلمان الفارسي ـ رحمه الله ـ: فأدخل يده تحت ثيابه واستخرج خاتماً من ذهب وفصّه من ياقوت حمراء، مكتوب عليه أربعة أسطر، وقال عليه السلام هذا والله خاتم سليمان بن داود عليه السلام وأسماؤنا عليه مكتوب.

قال: فبقينا عليه متعجبين من ذلك، فقال عليه السلام: من أي شيء تعجبون؟ وما هذا العجب؟ إني لأُرينّكم اليوم ما لم يره أحد قبلي ولا بعدي. فقال الحسن عليه السلام: يا أمير المؤمنين، إنّا نحب أن ترينا يأجوج ومأجوج والسد. فقال عليه السلام للريح: سيري بنا. فقال سلمان: والله لمّا سمعت الريح قوله دخلت تحت السحابة ورفعتنا إلى الهواء حتى أنتنا

إلى جبل شامخ وعليه شجرة جافّة، وتساقطت أوراقها. فقلنا: ما بال هذه الشجرة قد جفّت وماتت؟ قال عليه السلام: سلوها فإنّها تخبركم. فقال لها الحسن عليه السلام: ما بالك أيّتها الشجرة، قد حل بك ما نراه منك؟ فما أجابت. قال أمير المؤمنين عليه السلام: بحقّي عليك أيتها الشجرة أجيبيهم بإذن الله. قال سلمان. رحمه الله .: فوالله العظيم لقد سمعناها وهي تقول: لبّيك لبّيك يا وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته من بعده حقّاً. فقال لها: أخبريهم بخبرك. فقالت للحسن عليه السلام: يا أبا محمد، كان أبوك أمير المؤمنين عليه السلام يجيئني في كل ليلة، ويصلي عندي، ويسبّح الله عز وجل، ويستظل بي، فإذا فرغ من صلاته وتسبيحه جاءته غمامة بيضاء تفوح منها رائحة المسك، وعليها كرسي فيجلس عليها، ثم تسير به، وكنت أعيش من رائحته في كل ليلة، فقطعني منذ أربعين ليلة لم أعرف له خبراً إلى وقته هذا؛ والّذي تراه منّي ممّا أنكرته من فقده والغم والحزن عليه، فاسأله يا سيّدي حتى يتعاهدني بجلوسه عندي؛ فقد عشت والله برائحته في هذا الوقت وبنظري إليه.

قال سلمان رحمه الله: فبقينا متعجبين في ذلك، فقام عليه السلام ونزل عن كرسيه وقرب من الشجرة ومسح يده المباركة عليها. قال سلمان رحمه الله: فوالله الذي نفسي بيده لقد سمعت لها أنيناً وأنا أراها وهي تخضّر حتى اكتسيت ورقاً وأثمرت بقدرة الله عز وجل وببركاته، فأكلنا فكان أحلى من السكر. فقلنا: يا أمير المؤمنين هذا العجب! فقال عليه السلام: الذي ترونه بعدها أعجب.

ثم عاد إلى موضعه، وقال للريح: سيري، فدخلت الريح تحت السحابة ورفعتنا حتى رأينا الدنيا بمثل دور الرأس ورأينا في الهواء ملكاً قائماً رأسه تحت الشمس، ورجلاه في قعر البحر، ويده في

المغرب، وأخرى في المشرق. فلمّا نظر إلينا قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنّك وصيّه حقاً ولا شك فيه، فمن شك فيك فهو كافر». فقلنا: يا أمير المؤمنين من هذا الملك؟ وما بال يده في المغرب وأخرى في المشرق؟ فقال عليه السلام: أنا أقمته بإذن الله ههنا، ووكّلته بظلمات الليل وضوء النهار، ولا يزال كذلك إلى يوم القيامة وأنّي أدبّر أمر الدنيا وأصنع ما أريد بإذن الله تعالى وأمره، وأعمال الخلائق إليّ وأنا أرفعها إلى الله عز وجل.

ثم سار بنا حتّى وقفنا على سد يأجوج ومأجوج، فقال للريح: إهبطي تحت هذا الجبل، وأشار بيده إلى جبل شامخ إلى قرب السد، ارتفاعه مد البصر، وإذا به سواد كأنّه قطيعة ليل يفور منه دخان، فقال عليه السلام: أنا صاحب هذا السد على هؤلاء العبيد. قال سلمان رحمه الله: فرأيتهم ثلاثة أصناف: صنف طوال، طول كل واحد عشرون ذراعاً في عرض عشرة أذرع. والصنف الثاني، طول كل واحد مائة ذراع في عرض سبعين ذراعاً. والصنف الثالث يفرش إحدى أذنيه تحته والأخرى فوقه يلتف بها.

وقال عليه السلام للريح: سيري بنا إلى القاف. فسارت إلى جبل من ياقوت خضراء، وهو محيط بالدنيا، عليه ملك في صورة بني آدم، وهذا الملك موكل بقاف. فلمّا نظر الملك إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في الكلام؟ فرد عليه السلام، فقال عليه السلام: أنا أخبرك بما تريد أن تتكلم به وتسألني عنه أم أنت؟ فقال: الملك: بل أنت يا أمير المؤمنين. قال: تريد أن آذن لك في زيارة صاحبك، فقد أذنت لك. فأسرع الملك وقال: بسم الله الرحمن الرحيم. ثم طار إلى أن غاب عن أعيننا.

قال سلمان رحمه الله: وقطعنا ذلك الجبل حتّى انتهينا إلى شجرة جافة مثل الشجرة الأولى، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما بال هذه الشجرة قد جفّت؟ فقال: سلوها. قال الحسن عليه السلام: فقمت ودنوت منها وأبي عليه السلام ههنا، وقلت: أنا أقسمت عليك بحق أمير المؤمنين أن تخبرينا ما بالك وأنت في هذا المكان؟ قال: سلمان رحمه الله: فكلمت بلسان طلق وهي تقول: يا أبا محمد، إني كنت أفتخر على الأشجار فصارت الأشجار مفتخرة عليّ، وذلك أن أباك كان يجيئني في كل ليلة عند الثلث الأول من الليل، يستظل بي ساعة يصلّي ويسبّح الله عز وجل، ثم يأتيه فرس أدهم فيركبه ويمضي، فلا أراه إلى وقته، وكنت أعيش من رائحته وأفتخر به، فقطعني منذ أربعين ليلة، فصرت كما ترى. فقلنا: يا أمير المؤمنين، اسأل الله في ردها كما كانت. فمسح يده المباركة عليها ثم قال: «يا شاه شاهان»: فسمعنا لها أنيناً وهي تقول: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّك أمين هذه الأمة ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله؛ من تمسّك بك فقد نجا، ومن خالفك فقد غوى». ثم اخضرت وأورقت، فجلسنا تحتها ساعة وهي خضرة نضرة.

فقلنا: يا أمير المؤمنين، أين ذهب ذلك الملك؟ فقال عليه السلام: كنت بالأمس على جبل الظلمة فسألني الملك في زيارة هذا الملك فأذنت له، فاستأذنني الملك الآخر في هذا اليوم على أن يكافيه، وقد أذنت له. فقلنا: يا أمير المؤمنين، وما يزالون عن مواضعهم إلا بإذنك؟ فقال عليه السلام: والذي رفع السماء بغير عمد ما أظن أحداً منهم يزول عن موضعه بغير إذني بقدر نفس واحد إلا احترق. فقلنا: يا أمير المؤمنين، أليس كنت معنا جالساً في منزلك، فأي وقت كنت في قاف؟ فقال لنا: غمّضوا أعينكم، ففعلنا، ثم قال: افتحوا، ففتحنا فإذا نحن قد بلغنا مدينة منزل أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عليه السلام: لقد بلغنا ولم يشعر

أحد منكم. فقلنا: يا أمير المؤمنين، ما هذا بعجب من وصي رسول الله ﷺ، فقال: والله إنّي أملك من الملك لو عاينتموه لقلتم: أنت أنت، وأنا مخلوق من الخلائق آكل وأشرب.

ثم أتينا إلى روضة كأنّها (روضة) من رياض الجنة، فإذا نحن بشاب يصلّي بين قبرين، فقلنا: يا أمير المؤمنين، من هذا الشاب؟ فقال: أخي صالح عليه السلام، وهذان قبرا أبويه، يعبد الله بينهما. فلما نظر إلينا وإلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يبكي، ولمّا فرغ من بكائه فقلنا: ما يبكيك؟ فقال: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يمر بي كل يوم عند الصبح، وكنت آنس وازداد في العبادة، فقطعني منذ أربعين يوماً، فأهمّني ذلك ولم أملك دمعي من شدة شوقي إليه وأصابني ما تراه. فقلنا: يا أمير المؤمنين، هذا هو العجب من كل ما رأيناه، أنت معنا في كل يوم و (كيف) تأتي هذا الفتى؟ فقال: أتحبون أن أريكم سليمان بن داود عليه السلام؟ فقلنا: نعم.

فقام عليه السلام وقمنا معه، فمشينا حتّى دخلنا إلى بستان لم نر قط مثله، وفيه من جميع الفاكهة، والأنهار تجري، والأطيار تسبّح الله بلغاته تغنّي. فلمّا نظرت الأطيار إلى أمير المؤمنين عليه السلام جعلت ترفرف على رأسه، وإذا بسرير في وسط البستان من الفيروزج عليه شاب ملقى على ظهره واضع يده على صدره وليس في يده خاتم، عند رأسه ثعبان، وعند رجليه ثعبان. فلمّا نظرا إلى أمير المؤمنين عليه السلام انكبّا على قدميه يمرغان وجوههما على التراب ثم صارا كالتراب. فقلنا: يا أمير المؤمنين، هذا سليمان؟ قال: نعم، هذا خاتمه؛ ثم أخرج من يده الخاتم وجعله في يد سليمان، ثم قال: قم يا سليمان بإذن من يحيي العظام وهي رميم، وهو الذي لا إله إلا هو الحي القيوم القهّار، رب السماوات والأرض، وربّي ورب آبائنا الأولين. قال سلمان رحمه الله:

فسمعنا يقول سليمان: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، وأشهد أنّك وصي رسول الله ﷺ الأمين الهادي، وأني سألت ربّي عز وجل أن أكون من شيعتك، ولولا قلت ذلك ما ملكت شيئاً».

قال سلمان رحمه الله: فلمّا سمعت ذلك وثبت وقبّلت أقدام أمير المؤمنين عليه السلام. ثم نام سليمان عليه السلام وقمنا ندور في قاف، فسألته ما وراء قاف؟ فقال: وراءه أربعين (أربعون ـ ظ) دنيا، كل الدنيا مثل الدنيا التي جئنا أربعين مرة. فقلت له: يا أمير المؤمنين، كيف علمك بذلك؟ قال: كعلمي بهذه ومن فيها، وأنا الحفيظ الشهيد عليها بعد رسول الله ﷺ، وكذلك الأوصياء من ولدي بعدي. ثم قال: إني لأعرف بطرق السموات والأرضين. يا سلمان أسماؤنا كتبت على الليل فأظلم، وعلى النهار فأضاء، أنا المحنة الواقعة على الأعداء، وأنا الطامّة الكبرى، وأسماؤنا كتبت على العرش حتى استنار، وعلى السماوات فقامت، وكتبت على الأرض فسكنت، وعلى الرياح فذرت، وعلى البرق فلمع، وعلى النور فسطع، وعلى الرعد فخشع، وأسماؤنا مكتوبة على جبهة إسرافيل الذي جناحاه في المشرق والمغرب وهو يقول: «سبّوح قدوس، رب الملائكة والروح».

ثم قال لنا: غمّضوا أعينكم، ففمّضنا، ثم قال: افتحوها، ففتحنا وإذا نحن بمدينة لم نرَ أكبر منها، وذات الأسواق عامرة، وأهلها لم نرَ أطول منهم خلقاً، كل واحدة كالنخلة. فقلنا: من هؤلاء يا أمير المؤمنين؟ ما رأينا أعظم منهم خلقاً! قال: هؤلاء بقية قوم عاد وهم كفار لا يؤمنون بيوم المعاد وبمحمد ﷺ، فأحببت أن أريكم إيّاهم في هذا الموضع، ولقد مضيت بقدرة الله وقلعت مدائنهم وهي من مدائن

المشرق وأتيتكم بها وأنتم لا تشعرون، وأحببت أن أقاتلهم بين يديكم. ثم دنا منهم فدعاهم إلى الإيمان، فأبوا، فحمل عليهم وحملوا عليه، نحن نراهم ولا يروننا، فتباعد عنهم ودنا منّا.

قال سلمان رَحِمَهُ اللَّهُ: لعن الله من غصب حقّك، وجحدك، وأعرض عنك، وضاعف عليه العذاب الأليم».

فيا أيها العزيز! فماذا عرف الناس من معنى عليّ الأعلى؟ إنّما شاهدوا منه ليثاً حاملاً، وهزبراً صائلاً، وغضباً قاتلاً، وبليغاً قائلاً، وحاكماً بالحق فاصلاً، وغيثاً هاملاً، ونوراً كاملاً، فشاهدوه صورة الجسم، وموقع الاسم، وذلك مبلغهم من العلم، وما عرفوا أنّه الكلمة التي تمت بها الأمور، ودهرت الدهور، والاسم الذي هو روح كل شيء، والهاء الذي هوية كل شيء موجود وباطن كل شيء مشهود؛ وأن الذي خرج إلى حملة العرش من معرفة آل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مع قربهم من حضرة العظمة والجلال - كالقطرة من البحار. وذلك لأن ذات الله تعالى ليست معلومة للبشر، فلم يبقَ إلاّ معرفة الصفات. والناس في معرفتها قسمان:

قسم حظهم منها الذكر لها والتقديس بها... فجعلوها في السر أورادهم ومركبهم إلى مطلبهم وزادهم، فتجلّى عليهم نور الجمال من سبحات الجلال، فصاروا بذلك في القمص البشرية أشخاصاً سماوية، تخضع لهم السباع، وهذا سرّ تلاوة الأسماء. وكذلك الناس في معرفة آل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: قسم عرفوا أنّهم أولياء الله والوسيلة إلى عفوه ورضوانه، فقدموهم في حاجاتهم لديه، وتوسلوا بهم إليه. وقسم عرفوا أنهم الكلمة الكبرى، والآية العظمى، لأن أقرب الصفات إلى حضرة الأحدية جمال الوحدانية، لأن الواحد أما أن يكون أول العدد ومنبع الآحاد، أو الواحد الفاصل (الوحدانية والواحد الفاصل) عن

الاثنين، وهو الذي لا يكون زوجاً ولا فرداً، وذاك هو الأحد الحق؛ وأمّا الواحد الذي هو منبع الموجودات، فهو الواحد المطلق، والأمر المتصل من الواحد إلى الأحد هو روح الحق، ومعنى سائر الخلق، وهي الكلمة التي تخضع لذكرها الموجودات، وتنفعل لسماعها الكائنات، وهي مستورة بين حرف «كن، فيكون». فمن تجلّى على مرآة نفسه بوارق سرّهم الخفي واسمهم العلي خرقت له الجدران، وسخرت له الأكوان، وكان من خاصة الرحمن، وأمن من العذاب والهوان[٢٢٩].

وصف الإمام بلسان أمير المؤمنين عليه السلام

وممّا يدل على ما ذكر ما رواه في «الغوالي» عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: كما لا تَقْدِرُ على صفَة الله لا تَقْدِرُ على صِفَتِنا، وكَما لا تَقْدِرُ على صِفَتِنا لا تَقْدِرُ على صِفَةِ المُؤْمِنِ[٢٣٠].

وما رواه في «المشارق» عن طارق بن شهاب، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: يا طارِقُ، الإمامُ كَلِمَةُ الله، وحُجَّةُ الله، وَوَجْهُ الله، ونُورُ الله، وَحِجَابُ الله، وآيَةُ الله، يَخْتارُهُ اللهُ ويَجْعَلُ فيه ما يشاءُ، ويُوجِبُ لَهُ بِذَلِكَ الطّاعَةَ، وولاّهُ على جميعِ خَلْقِه، فَهُوَ وَلِيُّهُ في سماواته وأرضِه، أخَذَ لَهُ بِذَلِكَ العَهْدَ على جميعِ عِبادِه، فَمَنْ تَقَدَّمَ عَلَيْه كَفَرَ باللهِ مِنْ فَوْقِ عَرْشِه، فَهُوَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ، وإذا شَاءَ اللهُ شاءَ، ويَكْتُبُ على عَضُدِه: «وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وعَدْلاً»[٢٣١]. فهُوَ الصِّدْقُ والعَدْلُ، ويُنْصَبُ لهُ عَمُودٌ مِنْ نُورٍ منَ الأرْضِ إلَى السَّمَاءِ يَرى فيه أعْمالَ العِبادِ، ويُلْبَسُ الهَيْبَةَ، ويَعْلَمُ الضَّمِيرَ، ويَطَّلِعُ على الغَيْبِ، ويُعْطَى التَّصَرُّفَ عَلَى الإطْلاقِ، ويَرى ما بَيْنَ المَغْرِبِ والمَشْرِقِ، ولا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ عالَمِ (المُلْكِ) والمَلَكُوتِ، ويُعْطَى مَنْطِقَ الطَّيْرِ عِنْدَ وَلايَتِهِ.

فهذا الذي يختاره الله لوحيه، ويرتضيه لغيبه، ويؤيده بكلمته، ويلقنه حكمته، ويجعل قلبه مكان مشيته، وينادي له بالسلطنة، ويذعن له بالأمرة، ويحكم له بالطاعة. وذلك لأن الإمامة ميراث الأنبياء، ومنزلة الأصفياء، وخلافة الله وخلافة رسل الله، فهي عصمة وولاية، وسلطنة وهداية، لأنها تمام الدين، ورجح الموازين، الإمام دليل للقاصدين ومنار للمهتدين، وسبيل للسالكين، وشمس مشرقة في قلوب العارفين، ولايته سبب للنجاة، وطاعته مفترضة في الحياة وعدة بعد الممات، وعز المؤمنين، وشفاعة المذنبين، ونجاة المحبين، وفوز التابعين، لأنها رأس الإسلام، وكمال الإيمان، ومعرفة الحدود والأحكام، وتبيين الحلال من الحرام. فهي رتبة لا ينالها إلا من اختاره الله وقدمه، وولاه وحكمه.

فالولاية هي حفظ الثغور، وتدبير الأمور، وهي تعدد الأيام والشهور (الإمام الماء العذب على الظمأ، والدال على الهدى، الإمام المطهر من الذنوب، المطلع على الغيوب)، فالإمام هو الشمس الطالعة على العباد بالأنوار، فلا تنالها الأيدي والأبصار، وإليها الإشارة بقوله تعالى: «فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين»[٣٣٢] والمؤمنون علي وعترته، فالعزة للنبي والعترة، والنبي والعترة لا يفترقان إلى آخر الدهر، فهم رؤوس دايرة الإيمان، وقطب الوجود، وسماء الجود، وشرف الموجود، وضوء شمس الشرف، ونور قمره، وأصل العز والمجد، ومبدؤه ومعناه ومبناه.

فالإمام هو السراج الوهاج، والسبيل والمنهاج، والماء الثجاج، والبحر العجاج، والبدر المشرق، والغدير المغدق، والمنهج الواضح المسالك، (والدليل إذا عمت المهالك)، والسحاب الهاطل، والغيث الهامل، والبدر الكامل، والدليل الفاصل، والسماء الظليلة، والنعمة الجليلة، والبحر الذي لا ينزف، والشرف الذي لا يوصف، والعين الغزيرة، والروضة المطيرة، والزهر الأريج، والبدر البهيج، والنور اللايح، والطيب الفايح،

والعَمَلُ الصالِحُ، والمَتْجَرُ الرابِحُ، والمَنْهَجُ الواضِحُ، والطَّبيبُ الرَّفيقُ، والأَبُ الشَّفيقُ، ومَفْزَعُ العِباد في الدَّواهي، والحاكمُ والآمِرُ والنّاهي، أميرُ الله على الخَلايِقِ، وأمينُهُ على الحَقايِقِ، حُجَّةُ الله على عِباده، ومَحَجَّتُهُ في أرْضه وبلاده، مُطَهَّرٌ منَ الذُّنُوب، مُبَرَّأٌ منَ العُيُوب، مُطَّلِعٌ علَى الغُيُوب، ظاهِرُهُ أمْرٌ لا يُمْلَكُ، باطِنُهُ غَيْبٌ لا يُدْرَكُ، واحِدُ دَهْرِهِ، خليفَةُ الله في نَهْيِهِ وأمْرِهِ، لا يُوجَدُ لَهُ مَثيلٌ. ولا يَقُومُ لَهُ بَديلٌ.

فَمَنْ ذا يَنالُ معْرِفَتَنا، أو بَيانَ دَرَجَتِنا، أوْ يَشْهَدُ كرامَتَنا، أوْ يُدْرِكَ مَنْزِلَتَنا؟ حارَت الأَلْبابُ والعُقُولُ، وتاهَت الأفْهامُ فيما أقُولُ، تصاغَرَت العُظَماءُ، وتقاصَرَت العُلَماءُ، وكَلَّت الشُّعَراءُ، وخَرِسَت البُلَغاءُ، وَألْكَنَت الخُطَباءُ، وعَجَزَت الفُصَحاءُ، وتواضَعَت الأرْضُ والسَّماءُ عَنْ وصْف شَأْنِ الأوْلياء. وهَلْ يُعْرَفُ أوْ يُوصَفُ أو يُعْلَمُ أو يُفْهَمُ أو يُدْرَكُ أوْ يُمْلَكُ شَأْنُ مَنْ هُوَ نُقْطَةُ الكائِنات، وقُطْبُ الدّايِرات، وسِرُّ المُمْكنات، وَشُعاعُ جَلالِ الكِبْرياء، وشَرَفُ الأرْضِ والسَّماء؟ جَلَّ مقامُ آلِ مُحَمَّد ﷺ عَنْ وصْف الواصِفينَ، ونَعْت الناعِتينَ، وأنْ يُقاسَ بِهِمْ أحَدٌ منَ العالَمينَ. وكَيْفَ؟ وهُمُ النُّورُ الأوَّلُ، والكَلِمَةُ العُلْيا، والتَّسْمِيَةُ البَيْضاءُ، والوَحْدانِيَّةُ الكُبْرَى الَّتي أعْرَضَ عَنْها مَنْ أدْبَرَ وتوَلَّى، وحِجابُ الله الأعْظَمُ الأعْلَى. فأيْنَ الإخْبارُ مِنْ هذا؟ وأيْنَ العُقُولُ مِنْ هذا؟ وَمَنْ (ذا عَرَفَ مَنْ) عَرَفَ أوْ وَصَفَ مَنْ وَصَفَ، ظَنُّوا أنَّ ذلكَ مِنْ غَيْرِ آلِ مُحَمَّد ﷺ كَذَبُوا وزَلَّتْ أقْدامُهُمْ، واتَّخَذُوا العِجْلَ رَبّاً، والشَّيْطانَ حِزْباً. كُلٌّ ذلكَ بُغْضَةً لِبَيْت الصَّفْوَة، ودارِ العِصْمَة، وحَداً لِمَعْدِنِ الرِّسالَةِ والحِكْمَة، وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أعْمالَهُمْ(٢٣٢).

فَتَباً لَهُمْ وسُحْقاً، كَيْفَ اخْتارُوا إماماً جاهِلاً، عابِداً للأصْنام، جباناً يَوْمَ الزِّحام! والإمامُ يَجِبُ أنْ يَكُونَ عالِماً لا يَجْهَلُ، وشُجاعاً لا يَنْكَلُ، لا يَعْلُوا عَلَيْهِ حَسَبٌ، ولا يُدانيهِ نَسَبٌ، فَهُوَ في الذِّرْوَةِ مِنْ قُرَيْش، وَالشَّرَفِ

مِنْ هاشِمٍ، والبَقِيَّةِ مِنْ إبراهيمَ، والنَّهْجِ مِنَ المَنْبَعِ الكَرِيمِ، والنَّفْسُ مِنَ الرَّسُولِ، والرِّضى من الله، (والقَبُولُ عَنِ الله)، فَهُوَ شَرَفٌ مِنَ الأَشْرَافِ، والفَرْعُ مِنْ عَبْدِ مَنافٍ، عالِمٌ بالسِّياسَةِ، قائِمٌ بالرِّياسَةِ، مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ إلى يَوْمِ الشَّفَاعَةِ، أَوْدَعَ اللهُ قَلْبَهُ سِرَّهُ، وأَطْلَقَ بِهِ لِسانَهُ، فَهُوَ مَعْصُومٌ مُوَفَّقٌ، لَيْسَ بِجَبانٍ ولا جاهِلٍ. فَتَرَكُوهُ - يا طارِقُ - واتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ، «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ الله».

والإمامُ - يا طارِقُ - بَشَرٌ مَلَكِيٌّ، وَجَسَدٌ سَماوِيٌّ، وأَمْرٌ إلهِيٌّ، وَرُوحٌ قُدْسِيٌّ، ومَقامٌ عَلِيٌّ، ونُورٌ جَلِيٌّ، وسِرٌّ خَفِيٌّ، فَهُوَ مَلَكِيُّ الذَّاتِ، إلهِيُّ الصِّفاتِ، زايِدُ الحَسَناتِ، عالِمٌ بالمَغِيباتِ، خَصَّاً مِنْ ربِّ العالَمِينَ، وَنَصاً مِنَ الصَّادِقِ الأَمِينِ، وهذا كُلُّهُ لآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ لا يُشارِكُهُمْ فِيهِ مُشارِكٌ، لأَنَّهُمْ مَعْدِنُ التَّنْزِيلِ: وَمَعْنَى التَّأْوِيلِ، وخاصَّةُ الرَّبِّ الجَلِيلِ، ومَهْبِطُ الأَمِينِ جَبْرَئِيلَ، صِفاتُ الله وصَفْوَتُهُ، وسِرُّهُ وكَلِمَتُهُ، شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، ومَعْدِنُ الفُتُوَّةِ، عَيْنُ المَقالَةِ، ومُنْتَهَى الدَّلالَةِ، ومُحْكَمُ الرِّسالَةِ، ونُورُ الجَلالَةِ، جَنْبُ الله ووَدِيعَتُهُ، ومَوْضِعُ كَلِمَةِ الله ومِفْتاحُ حِكْمَتِهِ، مَصابِيحُ رَحْمَةِ الله ويَنابِيعُ نِعْمَتِهِ، السَّبِيلُ إلى الله والسَّلَّمُ السَّبِيلُ، والقِسْطاسُ المُسْتَقِيمُ، والمِنْهاجُ القَوِيمُ، والذِّكْرُ الحَكِيمُ (والوَجْهُ الكَرِيمُ)، والنُّورُ القَدِيمُ، أَهْلُ التَّشْرِيفِ والتَّقْوِيمِ والتَّقْدِيمِ والتَّفْضِيلِ والتَّعْظِيمِ، خُلَفاءُ النَّبِيِّ الكَرِيمِ، وأَبْناءُ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، وأُمَناءُ العَلِيِّ العَظِيمِ، «ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»(٢٣٤).

السَّنامُ الأَعْظَمُ، والطَّرِيقُ الأَقْوَمُ، مَنْ عَرَفَهُمْ وأَخَذَ (عَنْهُمْ فَهُوَ) مِنْهُمْ، وإلَيْهِ الإشارَةُ بِقَوْلِهِ: «فَمَنْ تَبِعَنِي فإنَّهُ مِنِّي»(٢٣٥). خَلَقَهُمُ اللهُ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ، وَوَلَّاهُمْ أَمْرَ مَمْلَكَتِهِ، فَهُمْ سِرُّ الله المَخْزُونَ، وأَوْلِياؤُهُ المُقَرَّبُونَ، وأَمْرُهُ بَيْنَ الكافِ والنُّونِ، لا بَلْ هُمُ الكافُ والنُّونُ، إلى الله يَدْعُونَ، وعَنْهُ يَقُولُونَ؛ وبِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. عِلْمُ الأَنْبِياءِ في عِلْمِهِمْ، وسِرُّ

الأوْصياء في سرِّهمْ، وعزُّ الأوْلياء في عزِهمْ كالقَطْرَة في البَحْرِ والذَّرَّة في القَفْرِ. والسَّماواتُ والأرْضُ عنْدَ الإمامِ كَيَده منْ رَاحَته، يَعْرفُ ظاهرَهَا منْ باطنِها، ويَعْلَمُ بَرَّها منْ فاجرِها؛ ورَطْبَها ويابسَها؛ لأنَّ اللهَ عَلَّمَ نَبيَّهُ علْمَ ما كانَ وما يَكُونُ؛ ووَرِثَ ذلكَ السِّرَّ المَصُونَ الأوْلياءُ (الأوْصياءُ ـ م) المُنْتَجَبُونَ؛ ومَنْ أنْكَرَ ذَلكَ فَعَلَيْه لَعْنَةُ الله ولَعْنَةُ اللاَّعنينَ.

وكَيْفَ يَفْرضُ اللهُ على عبادِه طاعَةَ مَنْ يَحْجُبُ عَنْهُ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالأرْضِ؟! وإنَّ الكَلمَةَ منْ آلِ مُحَمَّد ﷺ تَنْصَرِفُ إلى سَبْعينَ وَجْهاً؛ وكُلُّ ما في الذِّكْرِ الحَكيمِ والكَلامِ القَويمِ منْ آيَة تُذْكَرُ فيهَا العَيْنُ والوَجْهُ واليَدُ والجَنْبُ، فالمُرادُ منْهُ الوَليُّ، لأنَّهُ جَنْبُ الله ووَجْهُ الله ـ يَعْني حَقَّ الله ـ وعلْمُ الله وعَيْنُ الله ويَدُ الله؛ لأنَّ ظاهرَهُمْ باطنُ الصِّفات الظّاهرَة، وباطنَهُمْ ظاهرُ الصِّفات الباطنَة، فَهُمْ ظاهرُ الباطنِ، وباطنُ الظّاهرِ، وإلَيْه الإشارَةُ بقَوْله ﷺ: «إنَّ لله عَيْناً وأيادِيَ، أنْتَ يا عليُّ منْها».

فَهُمُ الجَنْبُ العَليُّ، والوَجْهُ الرَّضيُّ، والمَنْهَلُ الرَّويُّ، والصِّراطُ السَّويُّ، والوَسيلَةُ إلى الله، والوُصْلَةُ إلى عَفْوه ورضاهُ، سرُّ الواحد الأحَد، فلا يُقاسُ بهمْ منَ الخَلْق أحَدٌ. فَهُمْ خاصَّةُ الله وخَالصَتُهُ، وسرُّ الدَّيَّانِ وكَلمَتُهُ، وبابُ الإيمانِ وكَعْبَتُهُ، وحُجَّةُ الله ومَحَجَّتُهُ، وأعْلامُ الهُدى ورايَتُهُ، وفَضْلُ الله ورَحْمَتُهُ، وعَيْنُ اليَقين وحَقيقَتُهُ، وصراطُ الحَقِّ وعصْمَتُهُ، ومَبْدأُ الوُجُود وغايَتُهُ، وقُدْرَةُ الرَّبِّ ومَشيَّتُهُ، وأُمُّ الكتَاب وخاتمَتُهُ، وفَصْلُ الخطاب ودلالَتُهُ، وخَزَنَةُ الوَحْي وحَفَظَتُهُ، وأمَنَهُ الذِّكْرِ وتراجمَتُهُ؛ ومَعْدنُ التَّنْزيلِ ونهايَتُهُ(٢٣٦).

وفي «منهاج» العلامة رحمه الله عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: خَلَقَ اللهُ منْ نُورِ وَجْه عليٍّ عليه السلام سَبْعينَ ألْفَ مَلَك يَسْتَغْفرُونَ لَهُ ولمُحبِّيه إلى يَوْم القيامَة(٢٣٧).

فجميع ما أنظر جماله، وكل ما خيّل لي خياله، وكل ما انشق نسيمه، وكل ما أسمع مقاله، فهو مصدر الأشياء؛ فعودها إليه ضرورة وبدوها منه وعودها إليه. فمن هو المبدأ هو المعاد. فزمام الأمور يفوض إليه رتقها وفتقها، ومن بيده الفتق والرتق له الحكم وإليه المرجع، والله مِنْ وَرائِهِمْ مُحيطٌ(٢٣٨).

أيها العزيز! قد فرّ جمع من أهل المعرفة من التوحيد الإطلاق وقالوا بالوجود المنبسط، أي الحقيقة المحمدية ﷺ السارية في جميع الموجودات. واعتبروا أن هذه الطريقة مطابقة لظاهر الأخبار. وهذا الضعيف يذكر هنا ما ورد من أخبار في هذا الباب.

منها ما مرّ آنفاً من الأخبار. ومنها ما في «بصائر الأنوار» عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله ﷺ: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نُورُ نَبِيِّكَ يا جابِرُ، خَلَقَهُ اللهُ ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ كُلَّ خَيْرٍ، ثُمَّ أقامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ في مَقامِ القُرْبِ ما شاءَ اللهُ، ثُمَّ جَعَلَهُ أقْساماً، فَخَلَقَ العَرْشَ مِنْ قِسْمٍ، والكُرْسِيَّ مِنْ قِسْمٍ، وحَمَلَةَ العَرْشِ مِنْ قِسْمٍ، وخَزَنَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ قِسْمٍ. وأقامَ القِسْمَ الرَّابِعَ في مَقامِ الخَوْفِ ما شاءَ الله، ثُمَّ جَعَلَهُ أجْزاءً فَخَلَقَ المَلائِكَةَ مِنْ جُزْءٍ، والشَّمْسِ مِنْ جُزْءٍ، والقَمَرَ والكَوْكَبَ مِنْ جُزْءٍ. وأقامَ القِسْمَ الرَّابِعَ في مَقامِ الرَّجاءِ ما شاءَ اللهُ، ثُمَّ جَعَلَهُ أجْزاءً، فَخَلَقَ العَقْلَ مِنْ جُزْءٍ، والعِلْمَ والحِلْمَ مِنْ جُزْءٍ، والعِصْمَةَ والتَّوْفيقَ مِنْ جُزْءٍ. وأقامَ القِسْمَ الرَّابِعَ في مقامِ الحَيَاءِ ما شاءَ اللهُ، ثُمَّ نَظَرَ إلَيْهِ بِعَيْنِ الهَيْبَةِ، فَرَشَّحَ ذَلِكَ النُّورَ وقَطَرَتْ مِنْهُ مائَةُ ألْفٍ وأرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ ألْفَ قَطْرَةٍ فَخَلَقَ اللهُ مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ(٢٣٩) ورُوحَ نَبِيٍّ ورَسُولٍ، ثُمَّ تَنَفَّسَتْ أرْواحُ الأنْبِياءِ فَخَلَقَ اللهُ مِنْ أنْفُسِها أرْواحَ الأوْلِياءِ والشُّهَداءِ والصَّالِحِينَ.

وفي كِتاب «نور الأنوار بمعرفة الأبرار» عن جابر قال: قال رسول

الله ﷺ: أوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ نُوري، ابْتَدَعَهُ مِنْ نُورِهِ، واشْتَقَّهُ مِنْ جَلالِ عَظَمَتِه، فأقْبَلَ يَطُوفُ بالقُدْرَةِ حتَّى وَصَلَ إلى جَلالِ العَظَمَةِ في ثَمانينَ ألْفَ سَنَة، ثُمَّ سَجدَ لله تَعْظيماً، ففَتَقَ منْهُ نُورَ عَلِيٍّ عليه السلام، فكانَ نُوري مُحيطاً بالعَظَمَةِ، ونُورُ عَلِيٍّ مُحيطاً بالقُدْرَةِ.

ثُمَّ خَلَقَ العَرْشَ واللَّوْحَ والشَّمْسَ وَضَوْءَ النَّهارِ والأبْصارِ والعَقْلَ والمَعْرِفَةَ وأبْصارَ العِبَادِ وأسْماعَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ مِنْ نُورِي، ونُوري مُشْتَقٌّ مِنْ نُورِه، فَنَحْنُ الأوَّلُونَ ونَحْنُ الآخِرُونَ ونَحْنُ السَّابِقُونَ ونَحْنُ المُسَبِّحُونَ ونَحْنُ الشَّافِعُون ونَحْنُ كَلِمَةُ الله ونَحْنُ خاصَّةُ الله ونَحْنُ أحِبَّاءُ الله ونَحْنُ وَجْهُ الله ونَحْنُ جَنْبُ الله ونَحْنُ يَمينُ الله ونَحْنُ أُمَنَاءُ الله ونَحْنُ خَزَنَةُ الله وسَدَنَةُ غَيْبِ الله ونَحْنُ مَعْدِنُ التَّنْزِيلِ ومَعْنَى التَّأْوِيلِ وفي أبْياتِنا هَبَطَ جَبْرَئِيلُ، ونَحْنُ مَحالُّ قُدْسِه ونَحْنُ مصابيحُ الحِكْمَةِ ونَحْنُ مفاتيحُ الرَّحْمَةِ ونَحْنُ ينابيعُ النِّعْمَةِ ونَحْنُ شَرَفُ الأمَّةِ ونَحْنُ ساداتُ الأئمَّةِ ونَحْنُ نواميسُ العَصْرِ وأخْيارُ الدَّهْرِ ونَحْنُ ساسَةُ البِلادِ وسادَةُ العِبادِ ونَحْنُ الكُفاةُ والوُلاةُ والحُماةُ والدُّعاةُ والسُّقَاةُ والرُّعَاةُ وطريقُ النَّجَاةِ ونَحْنُ السَّبيلُ والسَّلْسَبيلُ ونَحْنُ النَّهْجُ القَويمُ والصِّراطُ المُسْتَقيمُ، مَنْ آمَنَ بِنا آمَنَ بالله، ومَنْ رَدَّ عَلَيْنا رَدَّ على الله، ومَنْ شَكَّ فينا شَكَّ في الله، ومَنْ عَرَفَنا عَرَفَ اللهَ، ومَنْ تَوَلَّى عَنَّا تَوَلَّى عَنِ الله، ومَنْ أطاعَنا أطاعَ اللهَ، ونَحْنُ الوَسيلَةُ إلى الله والوُصْلَةُ إلى رِضْوانِ الله، ولَنا العِصْمَةُ والخِلافَةُ، وفينَا النُّبُوَّةُ والوَلايَةُ والإمَامَةُ، ونَحْنُ مَعْدَنُ الحِكْمَةِ وبابُ الرَّحْمَةِ وشَجَرَةُ العِصْمَةِ، ونَحْنُ كَلِمَةُ التَّقْوى والمَثَلُ الأعْلَى والحُجَّةُ العُظْمَى والعُرْوَةُ الوُثْقَى الَّتي مَنْ تَمَسَّكَ بِها نَجَا،(٢٤٠) وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْها هوى، وكانَ في قَضاءِ الله أنْ لا يَدْخُلَ النَّارَ مُحِبٌّ لَنا، ولا يَدْخُلَ الجَنَّةَ مُبْغِضٌ لنا، لأنَّ اللهَ يَسْأَلُ العِبادَ يَوْمَ القِيامَةِ عَمَّا عَهِدَ إلَيْهِمْ ولا يَسْأَلُ عمَّا قَضَى عَلَيْهِمْ.

وفي كتاب السماء والعالم من «البحار» عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله ﷺ: أول شيء خلقه الله تعالى ما هو؟ فقال: نُورُ نَبِيِّكَ يا جابِرُ ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ كُلَّ خَيْرٍ[٢٤١]. الحديث. ومن الأخبار الواردة في الباب، الخبر المشهور عند أولي الألباب ورواه في «مشارق الأنوار»: سئل مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: هل رأيت رجلاً؟ قال: نَعَمْ الآنَ، وَسَأَلْتُ عَنْهُ مَنْ أَنْتَ؟ قال: أَنَا الطِّينُ، فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ؟ قال: مِنَ الطِّينِ، فقُلْتُ: إلى أيْنَ؟ قالَ: إلى الطِّينَ، فقُلْتُ: مَنْ أَنَا؟ قَال: أَنْتَ أَبُو تُراب، فقُلْتُ: أَنَا أَنْتَ. فقالَ: حاشاكَ حاشاكَ، هذا مِنَ الدِّينِ: في الدِّينِ أَنَاً أَنَا، أَنَا أَنَا، وأَنْتَ أَنْتَ، وأَنَا ذاتُ الذَّواتِ وذَواتُ الذَّاتِ. فَافْهَمْهُ وأَمْسِكْ[٢٤٢].

بيان: والذي خطر بالبال العليل الكليل في فهم معناه الجليل أن قوله: «هل رأيت رجلاً» أي إنساناً كاملاً. قوله: «أنا الطين» أي الطينة وأصل حقيقة الموجودات المتكثرة الذي هو حقيقة المحمدية ﷺ لأنّه هو الإنسان الكامل الجامع لصفتي الجمال والجلال. وقوله: «من الطين إلى الطين» يعني أنّي وإن كنت أصلاً للكثرات ولكن لي أيضاً أصلاً منه بدايتي وإليه نهايتي. وقوله: «من أنا» يعني عرفتك وعرفت أصلك فعرفني أصلي وحقيقتي. فقال: «أنت أبو تراب» يعني أنت باطن أصلي وهو الولاية لأنّها باطن النبوة التي هي الظاهر والصورة، والولاية الباطن والمعنى، ويشهد لذلك أن النبوة مركّب كالطين، والولاية بسيطة كالتراب. ولمّا كان المقام مقام توهّم الاتحاد لأنّه لا مغايرة بين ظاهر الشيء وباطنه فقال عليه السلام: «أنا أنت» فقال ﷺ: حاشاك أن تتوهم هذا الاتحاد وعدم المغايرة لأن هذا التنزيه من الدين. وقوله ﷺ: «في الدين أنا أنا» أي في ظاهر الشريعة وعوالم الكثرة وهي عالم الجبروت والملكوت والشهادة أنا أنا وأنت أنت وإن كنا بعد رفع

التعين الاعتباري وفي عالم التوحيد الإطلاقي وجوداً بحتاً، لا تقييد ولا إطلاق ولا تعدد ولا وحدة هناك. وقوله ﷺ: «أنا ذات الذوات، إلخ» يعني أنا أصل الذوات المتكثرة التي هي شؤونات ذات الحق وإضافات اعتبارية إلى الحق لا حقيقة لها، لأن لذاته تعالى وجوداً وليس لما عداه وجود. وفي بعض النسخ خمسة أنا، والرابع على هذا إشارة إلى عالم الإنسان الكامل، ولذا عد بعضهم العوامل أربعة: الجبروت والملكوت والشهادة والإنسان الكامل.

وفي «تأويل الآيات» وكتاب السماء والعالم من «البحار» عن «مصباح الأنوار» للشيخ الطوسي رحمه الله بإسناده عن أنس، عن النبي ﷺ قال: إنَّ اللهَ خَلَقَني وخَلَقَ عَلياً وفاطِمَةَ والحَسَنَ والحُسَيْنَ عليهم السلام قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ آدَمَ حينَ لا سَماءَ مَبْنِيَّةً ولا أرْضَ مَدْحِيّةً ولا ظُلْمَةَ ولاَ نُورَ ولا شَمْسَ ولا قَمَرَ ولا جَنَّةَ ولا نَارَ. فقالَ العَبَّاسُ: كَيْفَ كانَ بَدْءُ خَلْقِكُمْ يا رَسُولَ الله؟ فقالَ: يا عَمِّ، لَمّا أرادَ اللهُ أنْ يَخْلُقَنا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ فَخَلَقَ مِنْها نُوراً، ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أُخْرَى فَخَلَقَ مِنْها رُوحاً، ثُمَّ خَلَطَ النُّورَ بِالرُّوحِ فَخَلَقَني وخَلَقَ عَلِيّاً وفاطِمَةَ والحَسَنَ والحُسَيْنَ عليهم السلام، فَكُنَّا نُسَبِّحُهُ حينَ لا تَسْبيحَ، ونُقَدِّسُهُ حينَ لا تَقْديسَ.

فَلَمَّا أرادَ اللهُ أنْ يُنْشِيءَ خَلْقَهُ فَتَقَ نُوري فَخَلَقَ مِنْهُ العَرْشَ، فَالعَرْشُ مِنْ نُوري ونُوري مِنْ نُورِ الله، ونُوري أفْضَلُ مِنْ نُورِ العَرْشِ. ثُمَّ فَتَقَ نُورَ أخي عَلِيٍّ فَخَلَقَ مِنْهُ المَلائكَةَ، فالمَلائكَةَ من نور عليٍّ ونورُ عليّ من نور الله، فعليٌّ عليه السلام أفضلُ من الملائكة. ثُمَّ فَتَقَ نُورَ ابْنَتي فَخَلَقَ مِنْهُ السَّماواتِ والأرْضِ، فالسَّماواتُ والأرْضُ مِنْ نُورِ ابْنَتي فاطِمَةَ ونُورُ ابْنَتي فاطِمَةَ مِنْ نُورِ الله، فابْنَتي فاطِمَةَ عليها السلام أفْضَلُ مِنَ السَّماواتِ والأرْضِ. ثُمَّ فَتَقَ نُورَ وَلَدي الحَسَنِ وخَلَقَ مِنْهُ الشَّمْسَ والقَمَرَ، فالشَّمْسُ والقَمَرُ مِنْ نُورِ ولدي الحَسَنِ ونُورُ ولَدي الحَسَنِ مِنْ نُورِ الله،

فَالحَسَنُ عليه السلام أفضَلُ مِنَ الشَّمْسِ والقَمَرِ. ثُمَّ فَتَقَ نُورَ وَلَدِي الحُسَيْنِ فَخَلَقَ مِنْهُ الجَنَّةَ والحُورَ العَيْنَ، فالجَنَّةُ والحُورُ العَيْنُ مِنْ نُورِ وَلَدِي الحُسَيْنِ ونُورُ وَلَدِي الحُسَيْنِ مِنْ نُورِ اللهِ، فَوَلَدِيّ الحُسَيْنُ عليه السلام أفْضَلُ مِنَ الجَنَّةِ والحُورِ العِينِ(٢٤٣).

وفي «تأويل الآيات» في تفسير قوله تعالى: «وتَقَلُّبَكَ في السَّاجِدِينِ»(٢٤٤) عن الشيخ أبي جعفر الطوسي رحمه الله بإسناده عن الشيخ أبي محمد الفضل بن شاذان، بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي، عن الإمام العالم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قال: إنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى خَلَقَ نُورَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، ونُورُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِنْ نُورِ اخْتَرَعَهُ مِنْ نُورِ عَظَمَتِه وجَلالِه وهُوَ نُورُ لاهُوتِيَّةِ الَّذِي تَبَدَّى مِنْ لاه أيْ مِنْ إلاهيَّةِ، تَبَدَّى مِنْهُ وتَجَلَّى لِمُوسَى بْنِ عِمْرانَ في طُورِ سيناءَ، فَمَا اسْتَقَرَّ ولا طاقَ مُوسى لِرُؤْيَتِه ولا ثَبَتَ لَهُ حتَّى خَرَّ صاعِقاً مَغْشِياً عَلَيْه، وكانَ ذلكَ النُّورُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله.

فَلَمَّا أرادَ أنْ يَخْلُقَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله قَسَّمَ ذَلكَ النُّورَ شَطْرَيْنِ، فَخَلَقَ مِنَ الشَّطْرِ الأوَّلِ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله ومِنَ الشَّطْرِ الآخَرِ عليَّ بْنَ أبي طالب عليه السلام، ولَمْ يَخْلُقْ مِنْ ذلكَ النُّورِ غَيْرَهُمَا، خَلَقَهُمَا اللهُ بِيَدِه ونَفَخَ فيهما بِنَفْسِه مِنْ نَفْسِه لِنَفْسِه وصَوَّرَهُما على صُورَتِهما وجَعَلَهُما أُمَنَاءَ لَهُ وشُهَدَاءَ عَلى خَلْقِه وخُلَفَاءَ على خَلِيقَتِه وعَيْناً لَهُ عَلَيْهِمْ ولِساناً لَهُ إلَيْهِمْ، قَد اسْتَوْدَعَ فيهما عِلْمَهُ، وعَلَّمَهُمَا البَيانَ، واسْتَطْلَعَهُما على غَيْبِه، وجَعَلَ أحَدَهُما نَفْسَهُ والآخَرَ رُوحَهُ، لا يَقُومُ واحِدٌ بِغَيْرِ صاحِبِه؛ ظاهِرُهُما بَشَرِيَّةٌ وباطِنُهما لاهوتِيَّةٌ، ظَهَرَ لِلْخَلْقِ على هَيَاكِلِ النَّاسُوتِيَّةِ حتَّى يُطِيقُونَ رُؤْيَتَهُما وَهُوَ قَوْلُهُ تعالى: «وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ»(٢٤٥). فَهُمَا مقاماً رَبٌّ ناسِ العَالَمِينَ وحِجاباً خَالِقِ الخَلائِقِ أجْمَعِينَ، بِهِما فَتَحَ بَدْءَ الخَلْقِ وبِهِما يَخْتِمُ المُلْكَ والمَقَادِيرَ.

ثُمَّ اقْتَبَسَ مِنْ نُورِ مُحَمَّد ﷺ فَاطِمَةَ عليها السلام ابْنَتَهُ كَمَا اقْتَبَسَ نُورَهُ مِنْ نُورِهِ، واقْتَبَسَ مِنْ نُورِ فاطِمَةَ عليها السلام الحَسَنَ والحُسَيْنَ عليهما السلام كاقْتِبَاسِ المَصَابِيحِ، هُمْ خُلِقُوا مِنَ الأَنْوارِ وانْتَقَلُوا مِنْ ظَهْرٍ إلى ظَهْرٍ وصُلْبٍ إلى صُلْبٍ ومِنْ رَحِمٍ إلى رَحِمٍ في الطَّبَقَةِ العُلْيا مِنْ غَيْرِ نَجَاسَةٍ بَلْ نَقْلاً بَعْدَ نَقْلٍ لا مِنْ ماءٍ مَهِينٍ ولا نُطْفَةٍ خَشيرَةَ (خثرة ـ خ ل) كسايرِ خَلْقِه بَلْ أنوارٌ انْتَقَلُوا مِنْ أَصْلابِ الطّاهرينَ إلى أَرْحامِ المُطَهَّرات، لأَنَّهُمْ صَفْوَةُ الصَّفْوَةِ اصْطَفاهُمْ لِنَفْسِه وجَعَلَهُمْ خُزّانَ عِلْمِه وبُلَغاءَ عَنْهُ إلى خَلْقِه، أقامهُمْ مقامَ نَفْسِه، لأَنَّهُ لا يُرَى ولا يُدْرَكُ ولا تُعْرَفُ كيفيَّتُهُ ولا أينيَّتُهُ، فهَؤُلاءِ النَّاطقُونَ المُبَلِّغُونَ عَنْهُ المُتَصَرِّفُونَ في أمْرِهِ ونَهْيِه، فَبِهِمْ تَظْهَرُ قُدْرَتُهُ، ومِنْهُمْ تُرَى آياتُهُ ومُعْجِزاتُهُ، ومِنْهُمْ عَرَّفَ عِبادَهُ نَفْسَهُ، وبِهِمْ يُطاعُ أمْرُهُ ولَوْلاهُمْ ما عُرِفَ اللهُ ولا يُدْرَى كَيْفَ يُعْبَدُ الرَّحْمَنُ، فاللهُ يَجْرِي أمْرَهُ كَيْفَ يَشاءُ فيما يشاءُ «لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وهُمْ يُسْأَلُونَ»(٢٤٦).

وفي «الأمالي» للشيخ الطوسي رحمه الله، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل: أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: والَّذي بعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بالحَقِّ نَبياً لوْ شَفَعَ أبي في كُلِّ مُذْنِبٍ عَلَى وجْهِ الأَرْضِ لَشَفَّعَهُ اللهُ فيهِمْ، أبي يُعَذَّبُ بالنَّارِ وابْنُهُ قسيمُ الجَنَّةِ والنَّارِ؟! ثُمَّ قال: والَّذي بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بالحَقِّ إنَّ نُورَ أبي طالبٍ يَوْمَ القِيامَةِ لِيُطْفِيءَ أنْوارَ الخَلْقِ إلاَّ خَمْسَةَ أنْوار: نُورِ مُحَمَّد ﷺ ونُوري ونُورِ فاطِمَةَ ونُورِ الحَسَنِ والحُسَيْنِ ومِنْ وُلْدِهِ الأئمَّة عليهم السلام، لأنَّ نُورَهُ مِنْ نُورِنا الَّذي خَلَقَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ آدَمَ بِأَلْفَيْ عامٍ(٢٤٧). الحديث.

فعلم من حديث جابر أن خلافة الحقيقة المحمديّة ﷺ هي قطب الأقطاب. ولمّا تقرر عند أهل الذوق أن لكل اسم من الأسماء الإلهية صورة في العلم مسمّاة بالمهيّة والعين الثابتة، وأن لكل واحد منها صورة

خارجية مسمّاة بالمظاهر والموجودات العينية، وإن تلك الأسماء أرباب تلك المظاهر وهي مربوباتها، ومنه الفيض والاستمداد على جميع الأسماء، وحينئذ نقول: إن تلك الحقيقة هي التي برزت بصورة العوالم كلها باسم الرب الظاهر فيها الذي هو رب الأرباب، لأنها هي الظاهرة في تلك المظاهر. فصورتها الخارجية المناسبة لصور العالم التي هي مظهر الاسم الظاهر ترب صور العالم، وبباطنها ترب باطن العالم، لأنّه صاحب الاسم الأعظم وله الربوبية المطلقة، ولهذا قال تعالى: هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه، ولهذا قال ﷺ: خُصِّصْتُ بِفاتِحَةِ الكِتابِ وخَواتِيمِ البقَرَةِ[٢٤٨]، وهي مصدَّرة بقوله: الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ. فجميع عوالم الأجسام والأرواح كلها مربوبة لها.

وهذه الربوبية إنّما لها من جهة حقيقتها لا من جهة بشريتها، فإنّها من تلك الجهة عبد مربوب محتاج إلى ربها كما نبّه سبحانه على هذه الجهة بقوله: قُلْ إنَّما أنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ[٢٤٩]، وبقوله: وأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ،[٢٥٠] فَسَمَّاهُ عبد الله تنبيهاً على أنّه مظهر لهذا الاسم دون اسم آخر. ونبّه على الجهة الأولى بقوله: وما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ولكِنَّ اللهَ رَمى[٢٥١]، فأسند رميه إلى الله. ولا يتصور هذه الربوبيّة إلا بإعطاء كل ذي حق حقّه وإفاضة جميع ما يحتاج إليه العالم؛ وهذا المعنى لا يمكن إلا بالقدرة التامة والصفات الإلهية جميعاً. فله كل الأسماء يتصرف بها في العالم على حسب استعداداتهم.

ولمّا كانت هذه الحقيقة مشتملة على الجهتين الإلهية والعبوديّة لا يصح لها ذلك أصالة بل تبعيّة وهي الخلافة، فلها الإحياء والإماتة واللطف والقهر والرضا والسخط وجميع الصفات للتصرف في العالم

وفي نفسها وبشريتها أيضاً لأنّها منه. وبكاؤه وضجره وضيق صدره لا ينافي ما ذكر، فإنّه بعض مقتضيات ذاته وصفاته، «ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء» من حيث مرتبته، وإن كان يقول: أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ[٢٥٢] من بشريته.

والحاصل أن ربوبيّته للعالم بالصفات الإلهية التي من حيث مرتبته، وعجزه ومسكنته وجميع ما يلزمه من النقائص الإمكانيّة من حيث بشريته الحاصلة من التقيد والتنزل في العالم السفلي ليحيط بظاهره خواص العالم (الظاهر وبباطنه خواص العالم) الباطن، فيصير مجمع البحرين ومظهر العالمين، فنزوله أيضاً كمال له كما أن عروجه إلى مقامه الأصلي كمال له، فالنقائص أيضاً كمالات باعتبار آخر يعرفها من تنور قلبه بالنور الإلهي.

وقد قال أهل الإشارة: «أن جميع المظاهر الكلية الأفاقية والأنفسية راجعة إلى الأسماء الثلاثة التي في بسم الله الرحمن الرحيم، وحروف البسملة تسعة عشر حرفاً، فوقع ترتيب العالم على تسع عشر مرتبة: العقل الأول، والنفس الكلية، والأفلاك التسعة، والعناصر الأربعة، والمواليد الثلاثة، والإنسان الكامل الجامع لكلّه، فإذا ثلاثة رجعت إلى العقل الأول والنفس والجسم، وهي الجبروت والملكوت والملك، وهي النبوة والرسالة والولاية، وهي الشريعة والطريقة والحقيقة. ولهذا قال علي عليه السلام: ظَهَرَتِ الْمَوْجُودَاتُ عَنْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فالنبي مظهر الرحمن والولي مظهر الرحيم، والجامع للمرتبتين مظهر اسم الله؛ ومشربهما من الوحي والإلهام، فالأول من العقل، والثاني من النفس، وأشرفهما وأعظمهما الاسم الأعظم وهو الله، وأشرف المظاهر وأعظمها مظهر هذا الاسم بالفعل دون القوة، لأن النوع الإنساني بأسره مظهر له بالقوة لكن الشرف والعظمة ليس إلا للمظهر الفعلي

وهو نبيّنا ﷺ من بين الأنبياء عليهم السلام وسائر الأنبياء بعده على الترتيب؛ ومن الأولياء عليّ عليه السلام وسائر الأولياء بعده على الترتيب».

هكذا أفاد بعضهم، وللعبد فيه نظر يظهر وجهه ممّا أسلفنا، فنبيّنا ﷺ مظهر اسم الله باعتبار جمعيته، ومظهر اسم الرحمن باعتبار تصرفه في الوجود وخلافته فيه، ومظهر اسم الرحيم باعتبار ولايته المطلقة، فهو العقل الأول والنفس الكلية، وكذلك عليّ عليه السلام وسائر أولاده عليهم السلام إلى خاتم الختم، لأنّهم أصحاب الجمعية باعتبار أخذها من القطب المحمدي، فكل واحد منهم على الترتيب مظهر اسم الله باعتبار جمعيته، ومظهر اسم الرحمن باعتبار خلافته، ومظهر اسم الرحيم باعتبار ولايته، فكلهم مجمع العوالم الأفاقية والأنفسية. فتدبّر هذه الدقائق فإنّها سر من الأسرار ومن مكنونات علم الله، وهذا نقطة من بحر محيط أسرارهم كما تقدم في قصة موسى وخضر عليهما السلام أخبار كثيرة بهذا المضمون، والله عنده علم الكتاب.

تفويض الأمور التكوينية والتشريعية لمقام الولاية

أيّها العزيز! قد ظهر من الأخبار المتقدمة، خصوصاً حديث الغمامة والطارق وحديث جابر الجعفي وبيان الوجود المنبسط، أن أمر العالم فوض إلى الولاية. وحيث أن بعض الأخبار قد جاء بهذا الخصوص، فإنني أذكرها هنا.

وفي «معاني الأخبار» عن أبي الحسن موسى عليه السلام: إنَّ سُلَيْمان عليه السلام قالَ: «هَبْ لي مُلْكاً لا يَنْبَغي لأحَدٍ مِنْ بَعْدي» أنْ يَقُولَ: إنَّهُ مَأْخُوذٌ بِالغَلَبَةِ والجَوْرِ - إلى أن قال - والله أوتِينا ما أُوتِيَ سُلَيْمانُ وما لَمْ يُؤْتَ سُلَيْمانُ ومَا لَمْ يُؤْتَ أحَدٌ مِنَ العَالَمينَ، قال اللهُ عزَّ وجَلَّ

في قصّة سُلَيمانَ: «هذا عَطاؤُنا فامْنُنْ أوْ أمْسِكْ بِغَيْرِ حساب» وقالَ اللهُ تعالى في قصّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ: «ومَا أتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا»(٢٥٣).

وسيأتي تفسير هذا الخبر في الأخبار الآتية.

وفي «العيون» عن ياسر الخادم قال: قلت للرضا عليه السلام: ما تقول في التفويض؟ فقال: إنَّ اللهَ تَعالَى فَوَّضَ إلى نَبيِّه ﷺ أمْرَ دينِه فقالَ عَزَّ وجَلَّ «ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا»(٢٥٤). فأمَّا الخَلْقُ والرِّزْقُ فلا. ثم قال عليه السلام: إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ: «إنَّ اللهَ خالِقُ كُلِّ شيءٍ»(٢٥٥) ويَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: «الَّذي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحانَهُ وتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ»(٢٥٦).

وفي «العيون» عن أبي هاشم الجعفري قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة والمفوضة، فقال: الغُلاةُ كُفَّارٌ، والمُفَوِّضَةُ مُشْرِكُونَ، مَنْ جالَسَهُمْ أوْ خالَطَهُمْ أوْ آكَلَهُمْ أوْ شارَبَهُمْ أوْ واصَلَهُمْ أوْ زَوَّجَهم أوْ تَزَوَّجَ إلَيْهِمْ أوْ آمَنَهُمْ أوِ ائْتَمَنَهُمْ على أمانَةٍ أوْ صَدَّقَ حَديثَهُمْ أوْ أعانَهُمْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ خَرَجَ مِنْ ولايَةِ رَسُولِهِ وولايَةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ وولايَتِنا أهْلَ البَيْتِ عليهم السلام(٢٥٧).

وفي «الكافي» عن زرارة أنّه سمع أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام يقولان: إنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالى فَوَّضَ إلى نَبيِّه ﷺ أمْرَ خَلْقِه لِيَنْظُرَ كَيْفَ طاعَتُهُمْ. ثم تلا هذه الآية: «ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا»(٢٥٨).

وفي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام: إنَّ اللهَ تعالى أدَّبَ نَبيَّهُ ﷺ، فلَمَّا انْتَهَى بِهِ إلى ما أرادَ قالَ لَهُ ﷺ: «إنَّكَ لعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ»(٢٥٩). فَفَوَّضَ إلَيْهِ دينَهُ فقالَ: «وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما

نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا»[٢٦٠]. وإنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ فَرَضَ الفَرائضَ ولَمْ يَقْسِمْ لِلْجَدِّ شَيْئاً، وَإنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أطْعَمَهُ السُّدُسَ، فأجَازَ اللهُ تعالى لَهُ ذلكَ[٢٦١].

وفي آخر عن أبي جعفر عليه السلام: وَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دِيَةَ العَيْنِ ودِيَةَ النَّفْسِ، وحَرَّمَ النَّبِيذَ وكُلَّ مُسْكِرٍ. فقال له رجل: وضع رسول الله ﷺ من غير أن يكون جاء فيه شيء؟ فقال: نَعَمْ، لِيُعْلَمَ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَعْصِيهِ[٢٦٢].

وفي آخر عن أبي عبد الله عليه السلام: لا وَاللهِ ما فَوَّضَ إلى أحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إلاَّ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وإلى الأئمَّةِ عليهم السلام[٢٦٣].

وفي آخر عن أبي عبد الله عليه السلام: فَمَا فَوَّضَ اللهُ إلى رَسُولِهِ ﷺ فَقَدْ فَوَّضَ إلَيْنَا[٢٦٤].

وفي كتاب «النوادر» و «العيون»: الغُلاةُ والمُفَوِّضَةُ مُشْرِكُونَ.

بيان: المفوضة تطلق تارة على القدرية وأخرى على من يقول: إنَ الله فوض أمر الخلق والرزق وغيرهما إلى النبي ﷺ، وقد جاء التفسيران في الأخبار[٢٦٥].

وفي كتاب «الغيبة» رحمه الله عن الشيخ أبي القاسم أبي الروح قال: اختلف أصحابنا في التفويض وغيره، فمضيت إلى أبي طاهر بن هلال في أيّام استقامته، فعرّفته الخلاف، فقال: أخّرني، فأخّرته أياماً، فعدت إليه، فأخرج إليّ حديثاً بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أرادَ اللهُ أنْ يُحْدِثَ أمْراً عَرَضَهُ على رَسُولِ الله ﷺ ثُمَّ أميره المُؤْمنينَ عليه السلام واحِداً بَعْدَ واحد إلى أن يَنْتَهِي إلى صاحِبِ الزَّمانِ، ثُمَّ يُخْرَجُ إلى الدُّنيا. وإذا أرادَ الملائكَةُ أنْ يَرْفَعُوا إلى الله عَزَّ وجَلَّ عَمَلاً عُرِضَ على صاحِبِ الزَّمانِ عليه السلام ثُمَّ على واحِدٍ بَعْدَ واحد إلى أن يُعْرَضَ على رسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ يُعْرَضُ على اللهِ. فما نَزَلَتْ مِنَ اللهِ

فَعَلَى أيديهمْ، (وما عَرَجَ إلى اللهِ فَعَلَى أيْديهِمْ)، ومَا اسْتَغْنَوْا عَنِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ طَرْفَةَ عَيْنٍ(٢٦٦).

وفي «الخرايج» عن أبي ابراهيم عليه السلام قال: ما مِنْ مَلَكٍ يُهْبِطُه اللهُ في أمرٍ إلاَّ بَدَأَ بالإمام عليه السلام فعَرَضَ ذلكَ عَلَيْهِ، وإنَّ مُخْتَلَفَ الملائكَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ إلى صاحِبِ هذا الأمْرِ(٢٦٧).

وفي «الكافي» عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: يا مُحَمَّدُ إنَّ اللهَ تعالى لَمْ يَزَلْ مُتَفَرِّداً بوَحْدانيَّته، ثُمَّ خَلَقَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وعَلياً عليه السلام وفاطمَةَ، فَمَكَثُوا ألْفَ دَهْرٍ، ثُمَّ خَلَقَ جميعَ الأشْياءِ فأشْهَدَهُمْ خَلْقَها وأجْرَى طاعَتَهُمْ عليها وفَوَّضَ أُمُورَها إلَيْهِمْ، فَهُمْ يَحلُّونَ ما يشاؤُونَ ويُحَرِّمُونَ ما يَشاؤُونَ، ولَنْ يَشاؤُوا إلاَّ أنْ يشاءَ اللهُ. ثُمَّ قال: يا مُحَمَّدُ، هَذِهِ الدِّيانَةُ الَّتي مَنْ تَقَدَّمَها مَرَقَ، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْها مُحِقَ، ومَنْ لَزِمَها لَحِقَ، خُذْها إلَيْكَ(٢٦٨).

وفي «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الإمام عليه السلام فوض الله إليه كما فوض إلى سليمان بن داود عليه السلام؟ فقال: نَعَمْ. وذلك أن رجلاً سأله عن مسألة فأجابه فيها، وسأله آخر عن تلك المسألة فأجابه بغير جواب الأول، ثم سأله آخر فأجابه بغير جواب الأولين، ثم قال: «هذا عَطاؤُنَا فامْنُنْ أو اسْخَطْ بِغَيْرِ حِسابٍ» وهكَذا في قِراءَةِ عَليٍّ عليه السلام. قال: قلت: أصلحك الله فحين أجابهم بهذا الجواب يعرفهم الإمام عليه السلام قال: سُبْحَانَ اللهِ! أما تَسْمَعُ اللهَ يَقُولُ: «إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ»(٢٦٩) وهُمُ الأئمَّةُ عليهم السلام وإنَّها لَبسَبيلٍ مُقيمٍ(٢٧٠) لا يَخْرُجُ منْها أبداً. ثم قال لي: نَعَمْ، إنَّ الإمامَ إذا أبْصَرَ الرَّجُلَ عَرَفَهُ وعَرَفَ لَوْنَهُ، وإنْ سَمِعَ كَلامَهُ مِنْ خَلْفِ حائطٍ عَرَفَهُ وعَرَفَ ما هُوَ، إنَّ اللهَ يَقُولُ: «ومِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ والأرْضِ

واخْتِلافُ ألْسنَتِكُمْ وألْوانكُمْ إنَّ في ذلكَ لآيات للْعالمينَ»[٢٧١] وهُمُ العُلَمَاءُ، فليسَ يَسْمَعُ شَيْئاً منَ الأمْرِ يُنْطَقُ بِهِ إلاَّ عَرَفَهُ ناجٍ أوْ هالِكٌ، فلِذَلكَ يُجِيبُهُمْ بالَّذي يُجيبُهُمْ[٢٧٢].

وفي «بصائر الدرجات» عن موسى بن أشيم قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسألته عن مسألة فأجابني فيها، وأنا جالس إذ جاء آخر فسأله عنها، فأجابه بخلاف ما أجابني، ثم جاء آخر فسأله عن هذه المسألة فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، ففزعت من ذلك وعظم عليّ، فلمّا خرج القوم نظر إليّ فقال: يا بْنَ أشْيَمَ، كأنَّكَ فَزِعْتَ؟ قلت: جعلت فداك من ثلاثة أقاويل في مسألة واحدة! قال: يا بْنَ أشْيَمَ، إنَّ اللهَ فَوَضَ إلى (سليمان بن) داوُدَ عليه السلام أمْرَ مُلْكه فقالَ: «هذا عطاؤُنا فامْنُنْ أوْ أمْسكْ بِغَيْرِ حساب»، وفوَّضَ إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أمْرَ دينه فقالَ: «ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا»[٢٧٣]. وإنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالى فَوَّضَ إلى الأئمَّة مِنَّا، وإلَيْنَا فَوَّضَ ما فَوَّضَ إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فلاَ تَفْزَعْ يا بْنَ أشْيَمَ[٢٧٤].

وفي «بصائر الدرجات» عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: مَنْ أحْلَلْنَا لَهُ شَيْئاً أصابَهُ منْ أعْمَالِ الظّالمينَ فَهُوَ لَهُ حَلالٌ، إنَّ الأئمَّةَ مِنَّا مُفَوَّضٌ إلَيْهِمْ، فما أحَلُّوا فَهُوَ حَلالٌ، وما حَرَّمُوا فَهُوَ حَرامٌ[٢٧٥].

تفويض أمور القيامة إلى أمير المؤمنين عليه السلام

واعلم أيّها (الأخ) المؤيد بنور علي الذي هو الصراط المستقيم والنبأ العظيم أن مقامات يوم الدين سبعة: اللّواء وحامله علي عليه السلام، والحوض وعلي عليه السلام ساقيه، والميزان وعلي عليه السلام واليه، والصراط

وعلي عليه السلام معطى براته، ورجال الأعراف وهو عليه، والجنة والنار ومفاتيحهما بيده وأمرهما إليه. فعلم أن يوم القيامة مبسوط بآل محمد صلى الله عليه وآله، فاللّواء لهم، والحوض لهم، والوسيلة لهم، والشفاعة لهم، فهم الذادة والقادة والسادة، والولاة والحماة، والهداة والدعاة، فالمنزلة لهم، والشرف لهم، والولاية والجنة والنار لهم وإليهم، وشهادة الأنبياء بالتبليغ لهم، وحشر الخلائق وحسابهم عليهم، وخطاب الله يوم القيامة لهم، والدرجة العليا لهم، ورضوان الجنّة وخازن النّار ممتثلان بأمرهم، مأموران بطاعتهم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: يا عليُّ، أنْتَ أنْتَ، وأنَا أنَا، أنْتَ منِّي وأنَا منْكَ، ولَحْمُكَ لَحْمي، ودَمُكَ دَمي، ومقامُكَ مقامي، أنْتَ الخَليفَةُ منْ بَعْدي وإمامُ أمَّتي، مَنْ والاكَ فَقَدْ وَالاني، ومَنْ عاداكَ فَقَدْ عاداني، لَكَ منِّي كُلُّ مقامٍ إلاَّ النُّبوَّةَ، وإنِّي لا أسْتَغْني عَنْكَ لا في الدُّنْيا ولا في الآخرَةِ فإنَّكَ يَوْمَ القيامَةِ تَحْيى إذا حَييتُ، وتُكْسَى إذا كَسَوْتُ، وَتَرْضَى إذا رَضيتُ، فإنَّ حسابَ هذَا الخَلْقِ إلَيْكَ، وعَوْدَهُمْ إلَيْكَ، ولَكَ الكَوْثَرُ والسَّلْسَبيلُ غداً، وأنْتَ الصِّراطُ السَّوِيُّ لمَنِ اهْتَدَى، ولَكَ الشَّفاعَةُ والشَّهادَةُ والأعْرَافُ، وأنْتَ المُعَرِّفُ، ولَكَ الجَوازُ على الصِّراطِ ودُخُولِ الجَنَّةِ ونُزُولِ المَنازِلِ والقُصُورِ. وأنْتَ تُدْخلُ أهْلَ الجَنَّةِ إلَيْها، وأنْتَ تَحْشُرُ أهْلَ النَّارِ إلَيْها، وأنْتَ تُلْقي حَطَبَها عَلَيْها، ولواءُ الحَمْدِ في يَدَيْكَ وهُوَ سَبْعُونَ شقَّةً، كُلُّ شقَّةٍ ما بَيْنَ الشَّمْسِ والقَمَرِ، وآدَمُ ومَنْ دُونَهُ تحْتَ لوائكَ، والأنْبياءُ منْ شيعَتكَ يَوْمَ القيامَةِ، ولا يُدْخَلُ النَّارَ إلاَّ مَنْ أنْكَرْتَهُ وأنْكَرَكَ، وإذَا اسْتَوى أهْلُ الجَنَّةِ في الجَنَّةِ وأهْلُ النَّارِ في النَّارِ قيلَ لكَ: يا عليُّ، أغْلقْ عَلَيْهما أبْوابَهُما، وناد بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ خُلُودٌ ولا مَوْتَ، ويا أهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ خُلُودٌ ولا مَوْتَ. فَوَيْلٌ لِلْمُنْكِرِينَ لفَضْلكَ والمُتَكَبِّرينَ لأمْرِكَ.

وفي «إرشاد» الديلمي عن الحسن البصري أنه قال: قال رسول الله

ﷺ إذا كانَ يَوْمُ القيامَةِ يَجْلِسُ عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام على الفِرْدَوْسِ وهُوَ جَبَلٌ قَدْ عَلاَ الجَنَّةَ وَفَوْقَهُ عَرْشُ رَبِّ العالَمينَ ومِنْ سَفْحِهِ يَتَفَجَّرُ أنْهارُ الجَنَّةِ وتَتَفَرَّقُ في الجَنَّةِ، وهُوَ عليه السلام على كُرْسِيٍّ مِنْ نُورٍ يَجْري بَيْنَ يَدَيْهِ التَّسْنيمُ، لا يَجُوزُ أحَدٌ على الصِّراطِ إلاَّ ومَعَهُ براةٌ بِوِلايَتِهِ وَوِلايَةِ أهْلِ بيتِهِ، فَيُدْخِلُ مُحِبِّيهِ الجَنَّةَ ومُبْغِضيهِ النَّارَ(٢٧٦).

وفي «بصائر الدرجات» عن أبي عبد الله عليه السلام: إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ وَضَعَ اللهُ مِنْبَراً يَراهُ جَميعُ الخَلائِقِ، يَصْعَدُ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَيَقُومُ عَنْ يَمينِهِ مَلَكٌ وَعَنْ يَسارِهِ مَلَكٌ، يُنادي الَّذي عَنْ يَمينِهِ: يا مَعْشَرَ الخَلائِقِ، هذا عَلِيُّ بْنُ أبي طالِبٍ عليه السلام يُدْخِلُ الجَنَّةَ مَنْ يَشاءُ(٢٧٧)..

وفي «بصائر الدرجات» و «تأويل الآيات» عن أبي سعيد الخدري قال: كان النبي ﷺ يقول: إذا سَأَلْتُمُ اللهَ فاسْأَلُوهُ الوَسيلَةَ. قال: فسألنا النبي ﷺ عن الوسيلة، قال: هِيَ دَرَجَتي في الجَنَّةِ، وهِيَ ألفُ مِرْقاةٍ ما بينَ المِرْقاةِ إلَى المِرْقاةِ حَضْرُ الفَرَسِ الجَوادِ شَهْراً وهِيَ ما بَيْنَ مِرْقاةِ جَوْهَرَةٍ إلى مِرْقاةِ زَبَرْجَدَةٍ إلى مِرْقاةِ ياقُوتَةٍ إلى مِرْقاةِ لُؤْلُؤَةٍ إلى مِرْقاةِ ذَهَبَةٍ إلى مِرْقاةِ فِضَّةٍ، فَيُؤْتَى (بها) يَوْمَ القِيامَةِ حَتَّى تُنْصَبَ مَعَ دَرَجاتِ النَّبِيِّينَ، فَهِيَ بَيْنَ دَرَجِ النَّبِيِّينَ كالقَمَرِ بَيْنَ الكَواكِبِ، فلا يَبْقَى نَبِيٌّ ولا صِدِّيقٌ ولا شَهيدٌ إلاَّ قالوا: طُوبى لِمَنْ هذهِ الدَّرَجَةُ دَرَجَتُهُ! فيأتي النِّداءُ مِنْ عِنْدِ اللهِ يَسْمَعُ النَّبِيُّونَ والصِّدِّيقُونَ والشُّهَداءُ والمُؤْمِنُونَ: هذهِ دَرَجَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أُقْبِلُ أنَا يَوْمَئِذٍ بِرِيطَةٍ مِنْ نُورٍ، عَلَيَّ تاجُ المُلْكِ وإكْليلُ الكَرامَةِ، وأخي عَلِيُّ بْنُ أبي طالِبٍ عليه السلام أمامي ومَعَهُ لِوائي وهُوَ لِواءُ الحَمْدِ، مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ: «لا إلهَ إلاَّ اللهُ، (مُحَمَّدٌ وعلي وشيعَتُهُ هُمُ الفائِزُونَ) المُفْلِحُونَ هُمُ الفائِزُونَ باللهِ». فإذا مَرَرْنا بالنَّبِيِّينَ قالُوا: هذانِ مَلَكانِ مُقَرَّبانِ لَمْ نَعْرِفْهُما ولَمْ نَرَهُما، وإذا مَرَرْنا بالمَلائِكَةِ قالُوا: هذانِ نَبِيَّانِ مُرْسَلانِ لَمْ نَرَهُما ولَمْ نَعْرِفْهُما حَتَّى اعْلُو الدَّرَجَةَ

وعلي يَتْبَعُني حتّى إذا صِرْتُ في أعْلى درجَةٍ وعَلِيٌّ أسْفَلُ مِنّي بِدَرَجَةٍ وبيَدِه لِوائي، فَلا يَبْقَى يَوْمَئِذ مَلَكٌ ولا نَبِيٌّ ولا صَدِّيقٌ ولا شَهِيدٌ ولا مُؤْمِنٌ إلاّ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ إلَيْنَا يَقُولُونَ: طُوبى لِهَذَيْنِ العَبْدَيْنِ ما أكْرَمَهُما على الله! فيَأْتي النِّداءُ مِنْ عِنْدِ الله يَسْمَعُ النَّبِيّونَ والخَلائِقُ: «هذا مُحَمَّدٌ ﷺ حَبِيبي، وهذا عَلِيٌّ وَلِيِّي، طُوبى لِمَنْ أحَبَّهُ، وَوَيْلٌ لِمَنْ أبْغَضَهُ وَكَذَبَ عَلَيْه».

ثم قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: يا عَلِيُّ، فلا يَبْقَى يَوْمَئِذ في مَشْهَدِ القِيامَةِ أحَدٌ ممَّنْ كانَ يُحِبُّكَ ويَتَوَلاكَ إلاّ ابْيَضَّ وجْهُهُ وفَرِحَ قَلْبُهُ، ولا يَبْقَى أحَدٌ ممَّنْ نَصَبَ لَكَ حَرْباً أوْ أبْغَضَكَ أو عاداكَ أوْ جَحَدَ لَكَ حَقّاً إلاّ اسوَدَّ وجْهُهُ واضْطَرَبَت قَدَماهُ.

قال رسول الله ﷺ: فَبَيْنا أنَا كَذَلِكَ إذا مَلَكانِ قَدْ أقْبَلا، أحَدُهُما رِضْوانُ خازِنُ الجَنَّة، والآخَرُ مالِكُ خازِنُ النّارِ، فَيَقِفُ مالِكُ ويَدْنُو رِضْوانُ فَيَقُولُ: السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ الله، قال: فأرُدُّ عَلَيْهِ السَّلامَ وأقُولُ لَهُ: أيُّها المَلَكُ، ما أحْسَنَ وجْهَكَ وأطْيَبَ ريحَكَ! فَمَنْ أنْتَ؟ فيَقُولُ: أنا رِضْوانُ خازِنُ الجَنَّة، أمَرَنِي رَبُّ العِزَّةِ أنْ آتِيكَ بِمَفاتيحِ الجَنَّة، فَخُذْها يا أحْمَدُ، فأقُولُ: قَدْ قَبِلْتُ ذلكَ مِنْ رَبّي، فَلَهُ الحَمْدُ عَلى ما أنْعَمَ بِهِ عليَّ؛ فادْفَعُها إلى أخي عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام.

قال: فَيَرْجِعُ رِضْوانُ ثُمَّ يَدْنُو مالِكُ فَيَقُولُ: السَّلامُ عَلَيْكَ يا مُحَمَّدُ، فأقُولُ: وعَلَيْكَ السَّلامُ، ما أقْبَحَ رُؤْيَتَكَ أيُّها المَلَكُ وأنْتَنَ ريحَكَ! فَمَنْ أنْتَ؟ فَيَقُولُ: أنَا مالِكُ خازِنُ جَهَنَّمَ، أمَرَنِي رَبُّ العِزَّةِ أنْ آتِيكَ بِمَفاتيحِ النّارِ فَخُذْها يا أحْمَدُ، فأقُولُ: قَدْ قَبِلْتُ ذلكَ مِنْ رَبّي ولَهُ الحَمْدُ على ما أنْعَمَ بِهِ عَلَيَّ؛ فأدْفَعُها إلى أخي عليِّ بْنِ أبي طالب عليه السلام.

ثُمَّ يَرْجِعُ مالِكُ خازِنُ النّارِ، ويُقْبِلُ عَلِيٌّ عليه السلام ومَعَهُ مفاتيحُ الجَنَّةِ ومَقاليدُ النّارِ وهُوَ قاعِدٌ على عُجْزَةِ جَهَنَّمَ وقَدْ أخَذَ زِمامَها بيدِه وَقَدْ عَلا زَفيرُها، فإنْ شاءَ مَدَّها يُمْنَةً وإنْ شاءَ مَدَّها يُسْرَةً، فَتَقُولُ جَهَنَّمُ:

جُزْني يا عليٌّ، فقَدْ أطفأ نُورُكَ لَهَبي. فيَقُولُ لها: قرِّي يا جَهَنَّمُ، خُذي هذا، واتْرُكي هذا، خُذي هذا عَدُوِّي، واتْرُكي هذا وليِّي. فَجَهَنَّمُ يَوْمَئذ أطْوَعُ لِعَليِّ بْنِ أبي طالب عليه السلام مِنْ غُلامِ أحَدِكُمْ، ولَجَهَنَّمُ أطْوَعُ لِعَليٍّ بْنِ أبي طالب عليه السلام مِنْ جَميعِ الخَلائقِ(٢٧٨).

وفي «تأويل الآيات» عن أبي عبد الله عليه السلام، (عنْ أبيه) عن جده، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: ما مِنْ رَجُلٍ مِنْ فُقَراءِ شيعَتِنا إلاّ وَلَيْسَ عَلَيْه (ما) تَبِعَةٌ. قلت: جعلت فداك، وما التبعة، قال: مِنَ الإحْدَى والخَمْسينَ رَكْعَةً ومِنْ صَوْمِ ثلاثَة أيّامٍ مِنَ الشَّهْرِ، فإذا كانَ يَوْمُ القيامَة خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ وَوُجُوهُهُمْ مِثْلُ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فيُقالُ للرَّجُلِ مِنْهُمْ (أنْتَ كُنْتَ تَصُومُ) ثلاثَةَ أيّامٍ مِنَ الشَّهْرِ، سَلْ تُعْطَ. فَيَقُولُ: أسْأَلُ رَبِّي النَّظَرَ إلى وَجْه مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله. قال: فيأذَنُ الله عَزَّ وجلَّ لأهْلِ الجَنَّة أنْ يَزُورُوا مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله.

قالَ: فَيُنْصَبُ لرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله مِنْبَرٌ على دُرْنُوك مِنْ دَرانيك الجَنَّة لَهُ ألْفُ مِرْقاة، بَيْنَ المِرْقاة إلى المِرْقاة رَكْضَةُ الفَرَسِ: فَيَصْعَدُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وأميرُ المُؤْمنينَ عليه السلام قال: فَيَحُفُّ ذَلكَ المِنْبَرَ شيعَةُ آلِ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله فَيَنْظُرُ اللهُ إلَيْهِمْ، وهُوَ قَوْلُهُ تَعالى: «وُجُوهٌ يَوْمَئذ ناضرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ»(٢٧٩). قال: فَيَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنَ النُّورِ حتَّى إنَّ أحَدَهُمْ إذا رَجَعَ (لهم) لَمْ يَقْدِرِ الحَوْراءُ أنْ تَمْلأ بَصَرَها مِنْهُ. قال: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «لمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ العامِلُونَ»(٢٨٠).

وفي «تأويل الآيات» عن «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه جاء ابن الكوّاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، ما معنى قوله عز وجل «وَعَلَى الأعْرَافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيماهُمْ»؟(٢٨١) فقال: نَحْنُ على الأعْرَاف، نَعْرِفُ أنْصارَنا بِسيماهُمْ، ونَحْنُ الأعْرَافُ الَّذينَ لا يُعْرَفُ اللهُ إلاّ بِسَبيلِ مَعْرِفَتِنا، ونَحْنُ الأعْرافُ يُعَرِّفُنا اللهُ عَزَّ وجلَّ يَوْمَ القِيامَةِ على الصِّراطِ النَّاسَ، فلا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلاّ مَنْ عَرَفَنا

وعَرَفْنَاهُ، ولا يَدْخُلُ النَّارَ إلاّ مَنْ أنْكَرَنا وأنْكَرْناهُ. إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لَوْ شاءَ لَعَرَّفَ العِبادَ نَفْسَهُ ولكنْ جَعَلَنَا أبْوابَهُ وصِراطَهُ وسَبيلَهُ ووَجْهَهُ الَّذي يُؤْتى مِنْهُ، فَمَنْ عَدَلَ عَنْ وَلايَتِنا وفَضَّلَ عَلَيْنا غَيْرَنا فإنَّهُمْ عَنِ الصِّراطِ لَناكِبُونَ(٢٨٢).

وذكر بهذا المضمون أخباراً أخر.

وفي «تأويل الآيات» في تفسير «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أنْ لَعْنَةُ اللهِ علَى الظّالِمِينَ» أنّه إذا استقرَّ أهل الجنَّة في الجنَّة وأهل النَّار في النَّار فأذّن مؤذّن بينهم، والمؤذّن أمير المؤمنين عليه السلام(٢٨٣). ثمّ ذكر أخباراً كثيرة في هذا المعنى.

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: يا عليٌّ، أنْتَ صاحبُ الجنانِ، وقسيمُ النِّيرانِ، ألا وإنَّ مالكَ ورِضْوانَ يأتِياني غداً عَنْ أمْرِ الرَّحْمَنِ فيَقُولانِ لي: يا مُحَمَّدُ، هذه هِبَةٌ مِنَ اللهِ إلَيْكَ فَسَلِّمْها إلى عليِّ بْنِ أبي طالب؛ فأدْفَعُها إليكَ، فَمَفاتيحُ الجَنَّةِ والنَّارِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِكَ تَفْعَلُ بها ما تشاءُ. وفي «العلل» عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إذا كان علي عليه السلام يدخل الجنة محبّه، والنّار عدوه، فأين مالك ورضوان إذاً؟ فقال: يا مُفَضَّلُ، أَلَيْسَ الخَلائقُ كُلُّهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ بِأمْرِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله؟ قُلْتُ: بَلَى قال: فَعَلِيٌّ يَوْمَ القِيامَةِ قَسِيمُ الجَنَّةِ والنَّارِ بِأمْرِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، ومالكُ ورِضْوانُ أمْرُهُمَا إلَيْهِ. خُذْها يا مُفَضَّلُ، فإنَّها مِنْ مَكْنُونِ العِلْمِ ومَخْزُونِهِ(٢٨٤).

وفي «مجالس» الصدوق رحمه الله عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ يُؤْتى بِكَ يا عليٌّ على عجَلَةٍ مِنْ نُورٍ وعَلَى رأسِكَ تاجٌ لَهُ أربَعَةُ أرْكان، عَلَى كُلِّ رُكْنٍ ثلاثَةُ أسْطُرٍ: «لا إلهَ إلاَّ اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله عَلِيٌّ ولِيُّ الله»، وتُعْطَى مفاتيحُ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَكَ كُرْسِيٌّ يُعْرَفُ بِكُرْسِيِّ الكرامَةِ فَتَقْعُدُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُجْمَعُ لَكَ الأوَّلُونَ والآخِرُونَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، فَتَأمُرُ بِشِيعَتِكَ إلى الجَنَّةِ،

وبأعْدائكَ إلى النَّارِ، فأنْتَ قَسيمُ الجَنَّة، وأنْتَ قَسيمُ النَّارِ، ولَقَدْ فازَ مَنْ تَوَلاّكَ، وَخَسِرَ مَنْ عاداكَ، فأنْتَ في ذلكَ اليَوْمِ أمينُ اللهِ والحُجَّةُ الواضِحَةُ(٢٨٥).

وفي «الإرشاد» عن أبي الحسن عليه السلام: إذا كانَ لَكَ يا سماعَةُ حاجَةٌ إلى الله عَزَّ وجلَّ فَقُلْ: «اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّد وعَلِيٍّ، فإنَّ لَهُما عِنْدَكَ شأْناً مِنَ الشَّأْنِ وقَدْراً مِنَ القَدْرِ، فبِحَقِّ ذلكَ القَدْرِ، وبِحَقِّ ذلكَ الشَّأْنِ أنْ تُصَلِّي على مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، وأنْ تَفْعَلَ بي كذا وكذا»، فإنَّهُ إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ لَمْ يَبْقَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ولا مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ للإيمانِ إلاَّ وهو مُحْتاجٌ إلَيْهِما في ذلكَ اليَوْمِ(٢٨٦).

وفي «مجالس» ابن الشيخ رحمه الله قال أبو عبد الله عليه السلام: يا سُلَيْمانُ ما جاءَ عَنْ أميرِ المُؤْمِنينَ عَلِيّ بنِ أبي طالب عليه السلام يُؤْخَذُ به، وما نَهَى عَنْهُ يُنْتَهَى عَنْهُ، جَرَى لَهُ الفَضْلُ ما جَرَى لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله ولِرَسُولِ اللهِ الفَضْلُ على جَميعِ مَنْ خَلَقَ اللهُ. العائبُ على أميرِ المُؤْمِنينَ عليه السلام في شيْء كالعائبِ على الله وعَلَى رَسُوله، والرَّادُّ عَلَيْه في صغيرٍ أوْ كَبيرٍ عَلَى حَدِّ الشِّرْكِ بالله. كانَ أميرُ المُؤْمِنينَ عليه السلام بابَ الله الَّذي لا يُؤْتى إلاّ مِنْهُ، وسَبيلَهُ الَّذي مَنْ تَمَسَّكَ بِغَيْرِهِ هَلَكَ. كذلكَ جرى حُكْمُ الأئمَّة عليهم السلام مِنْ بَعْدِه واحداً بعْدَ واحد، جَعَلَهُمْ أركانَ الأرْض، وهُمُ الحُجَّةُ البالغَةُ على مَنْ فَوْقَ الأرْضِ وما تَحْتَ الثَّرى. أما عَلِمْتَ أنَّ أميرَ المُؤْمِنينَ عليه السلام قال: أنَا قَسيمُ الله بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، وأنَا الفارُوقُ الأكْبَرُ، وأنَا صاحبُ العَصَا والمِيْسَمِ، ولَقَدْ أقرَّ لي جَميعُ الملائكَة والرُّوحُ بِمِثْلِ ما أقَرُّوا لمُحَمَّد صلى الله عليه وآله، ولَقَدْ حُمِّلْتُ مِثْلَ حُمُولَة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وهِيَ حُمُولَةُ الرَّبِّ، وإنَّ مُحَمَّداً يُدْعى فَيُكْسى ويُسْتَنْطَقُ فَيَنْطِقُ (و) ادعى فأكسى وأُسْتَنْطَقُ فأنْطِقُ. ولَقَدْ أُعْطيتُ خِصالاً لَمْ يُعْطها أحَدٌ قَبْلي: عُلِّمْتُ المَنايا والقَضايا وفَصْلَ الخِطاب(٢٨٧).

وفي «إرشاد الديلمي» عن «مناقب ابن مردويه» عن الإمام جعفر بن

محمد الصادق عليه السلام أنّه قال: إذا كانَ يَوْمُ القيامَة نادى مناد منْ بُطْنانِ العَرْشِ: أَيْنَ خَليفَةُ الله في أَرْضه؟ فَيَقُومُ داوُدُ النَّبيُّ عليه السلام فيَأْتي النِّداءُ منْ عنْد الله عزَّ وجلَّ: لسْنَا أَرَدْنا إيَّاك يا داوُدُ وإن كُنْتَ لله تعالى خليفَةً. ثُمَّ يُنادي أَيْنَ خَليفَةُ الله في أرضه؟ فيَقُومُ أميرُ المُؤْمنينَ عليُّ بْنُ أبي طالب عليه السلام، فيأْتي النِّداءُ منْ قبَلِ الله عَزَّ وجَلَّ: يا مَعْشَرَ الخلائق، هذا عليُّ بْنُ أبي طالب خليفَةُ الله في أَرْضه وحُجَّتُهُ على العباد، فَمَنْ تَعلَّقَ بحَبْله في دار الدُّنْيا فَلْيَتَعلَّقْ بحَبْله في هذا اليَوْم (...) فيتْبَعُونَهُ إلى الجَنَّة. ثُمَّ يَأْتي النِّداءُ منْ عنْدَ الله: ألا مَنِ ائْتَمَّ بإمامٍ فَلْيَتْبَعْهُ إلى حيْثُ يَذْهَبُ به. فَحينَئذ «تَبَرَّأَ الَّذينَ اتُّبعُوا» سواهُ «منَ الَّذينَ اتَّبَعُوا ورأَوا العَذابَ وتَقَطَّعَتْ بهمُ الأَسْبابُ»(٢٨٨).

وفي «بحر المعارف وخلاصة المناقب» عن النبي صلى الله عليه وآله: إذا كانَ يَوْمُ القيامَة يَصْعَدُ عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام على الفرْدَوْس وَهُوَ جَبَلٌ عال في الجَنَّة وفَوْقَهُ عَرْشُ ربِّ العالَمينَ ومنْ سَفْحه تتَفَجَّرُ الأَنْهارُ وتتَفَرَّقُ في الجِنانِ وهُوَ جالسٌ على كُرْسيٍّ منْ نُورٍ يَجْري بَيْنَ يَدَيْه التَّسْنيمُ، لا يَجُوزُ على الصِّراط أحَدٌ إلاّ ومَعَهُ براءةٌ بوِلايَته وولايَة ذُرِّيَّته وأهْلِ بَيْته، وهُوَ مُشْرِفٌ على الجَنَّة فَيُدْخلُ مُحبِّيه الجَنَّةَ ومُبْغضيه النَّارَ.

وفي «العلل» عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إذا كانَ يَوْمُ القيامَة وُضعَ مِنْبَرٌ يَراهُ جميعُ الخلائق، ويَقفُ عَلَيْه عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام عَنْ يمينه ملَكٌ وَعَنْ يَساره مَلَكٌ، ويُنادي الّذي عَنْ يَمينه: يا مَعْشَرَ الخلائق، هذا عليُّ بْنُ أبي طالب عليه السلام صاحبُ الجَنَّة يُدْخلُها مَنْ يَشاءُ. ويُنادي المَلَكُ الّذي عَنْ يَساره: يا مَعْشَرَ الخلائق، هذا عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام صاحبُ النّارِ يُدْخلُها مَنْ يَشاءُ(٢٨٩).

وعن ابن عباس: في الحديث القدسي عن الرب العلي سبحانه: لولا عليٌّ ما خَلَقْتُ جَنَّتي. فله الجنّة النعيم، فهو المالك لها والقسيم لها، لأن من خلق الشيء له فهو له وملكه.

وفي «العلل» عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لم صار أمير المؤمنين عليه السلام قسيم الجنّة والنّار؟ قال: لأنَّ حُبَّهُ إيمانٌ وبُغضَهُ كُفرٌ، وإنَّما خُلقَت الجَنَّةُ لأهلِ الإيمانِ، والنَّارُ لأهلِ الكُفرِ، فَهُوَ قَسيمُ الجَنَّةِ والنَّارِ لهذهِ العلَّة. إلى أن قال عليه السلام. فَقَدْ ثَبَتَ أنَّ جميعَ أنبياء الله ورُسُلِه وجميعَ المُؤمنينَ كانُوا لعليِّ بْنِ أبي طالب عليه السلام مُحبِّينَ، وثَبَتَ أنَّ أعْداءَهُمْ والمُخالفينَ لهُمْ كانُوا (لَهُمْ وَ) ولَجَميعِ أهْلِ مَحبَّتِهِمْ مُبْغضينَ. قلت: نعم، (قال:) فلا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ أحبَّهُ منَ الأوَّلينَ والآخرينَ، ولا يَدْخُلُ النَّارَ إلاَّ مَنْ أبْغَضَهُ منَ الأوَّلينَ والآخرينَ، فَهُوَ إذاً قَسيمُ الجَنَّةِ والنَّارِ. الحديث(٢٩٠).

وفي «السرایر» مستطرفاً من «جامع البزنطي» عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: ما منْ نبيٍّ ولا آدَميّ ولا إنْسيٍّ ولا جنّيٍّ ولا ملَك في السّماواتِ والأرْضِ إلاَّ ونَحْنُ الحُجَجُ عَلَيْهِمْ، وما خَلَقَ اللهُ خَلْقاً إلاَّ وقَدْ عَرَضَ ولايَتَنا عَلَيْهِ واحْتَجَّ بِنا عَلَيْهِ، فَمُؤْمِنٌ بِنا، وكافِرٌ جاحِدٌ حتَّى السَّماواتِ والأرْضِ والجبالِ(٢٩١).

وفي «الكافي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ نصَبَ علياً عَلَماً بينَهُ وبَيْنَ خَلْقِه، فَمَنْ عَرَفَهُ كانَ مُؤْمناً، ومَنْ أنْكَرَهُ كانَ كافراً، وَمَنْ جَهلَهُ كانَ ضالاً، ومَنْ نَصَبَ مَعَهُ شيْئاً كانَ مُشْرِكاً، ومَنْ جاءَ بِولايَتِهِ دخَلَ الجَنَّةَ(٢٩٢).

وفي «مجالس» الصدوق رحمه الله عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليُّ، أنْتَ صاحبُ حَوْضي، وصاحبُ لوائي، ومُنجزُ عداتي، وَحبيبُ قَلْبي، ووارثُ علْمي، ومُسْتَوْدَعُ مواريث الأنْبياء، وأنْتَ أمينُ الله في أرْضه، وأنْتَ حُجَّةُ الله على بَريَّته، وأنْتَ رُكْنُ الإيمانِ، وأنْتَ مصْباحُ الدُّجَى، وَأنْتَ منارُ الهُدَى، وأنْتَ العَلَمُ المَرْفُوعُ لأهْلِ الدُّنْيا، مَنْ تَبِعَكَ نجا، ومَنْ تَخَلَّفَ منْكَ هَلَكَ، وأنْتَ الطَّريقُ الواضحُ وأنْتَ الصِّراطُ المُسْتَقيمُ، وأنْتَ قائدُ الغُرِّ المُحَجّلينَ، وأنْتَ يَعْسُوبُ الدِّينِ، وأنْتَ مَوْلى

مَنْ انَا مولاهُ، وانَا مَولى كُلِّ مُؤْمنٍ ومُؤْمنَة، لا يُحبّكَ إلا طاهرُ الوَلادَة، ولا يُبْغضُكَ إلاّ خَبيثُ الولادَة، وما عَرَجَ بي رَبّي إلى السَّماءِ وكَلَّمَني رَبّي إلاّ قال: يا مُحَمَّدُ، إقْرَأ منّي عليا السَّلامَ وعَرِّفْهُ أنَّهُ إمامُ أوليائي ونُورُ أهْلِ طاعتي، فهنيئاً لَكَ يا عليُّ هذهِ الكَرامَةُ(٢٩٣).

وفي «المجالس» عن علي بن موسى الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن الله جل جلاله أنّه قال: أنَا اللهُ لا إلهَ إلاّ أنَا، خلَقْتُ الخَلْقَ بقُدْرَتي، فاخْتَرْتُ منْهُمْ مَنْ شئْتُ منْ أنبيائي، واخْتَرْتُ منْ جَميعهمْ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله حَبيباً وخليلاً وصَفياً، فَبَعَثْتُهُ رَسُولاً إلى خَلْقي، واصْطَفَيْتُ لَهُ علياً فَجَعَلْتُهُ اخاً ووزيراً ومُؤَدياً عَنْهُ منْ بَعْدِهِ إلى خَلْقي، وخليفَتي إلى (م: على) عبادي ليُبَيِّنَ لَهُمْ كتابي ويَسيرَ فيهِمْ بحُكْمي، وجَعَلْتُهُ العَلَمَ الهاديَ منَ الضلالَة، وبابيَ الَّذي أُوتى منْهُ، وبَيْتي الَّذي مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمناً من ناري، وحصْني الذي مَنْ لَجَأَ إلَيْه حَصَنَهُ منْ مَكْروه الدّنْيا والآخرَة، ووَجْهي الَّذي مَنْ تَوَجَّهَ إلَيْه لَمْ أَصْرِفْ وَجْهي عَنْهُ، وحُجَّتي في السَّماوات والأرْضِ على جَميعِ مَنْ فيهِنَّ منْ خَلْقي.

لا اقْبَلُ عَمَلَ عامِلٍ منْهُمْ إلاّ بالإقْرارِ بولايَته مَعَ نُبُوَّة أحْمَدَ رَسُولي وهو يَدي المَبْسُوطَةُ على عبادي، وهُوَ النِّعْمَةُ التي أنْعَمْتُ بها عَلَى مَنْ أحْبَبْتُهُ منْ عبادي، فَمَنْ أحْبَبْتُهُ منْ عبادي وتولَّيْتُهُ عَرَّفْتُهُ ولايَتَهُ ومَعْرِفَتَهُ، ومَنْ ابْغَضْتُهُ منْ عبادي أبْغَضْتُهُ لانصرافه عَنْ مَعْرِفَته وولايَته. فبعزَّتي حَلَفْتُ، وبجلالي أقْسَمْتُ أنَّهُ لا يَتَوَلَّى علياً عَبْدٌ منْ عبادي إلاَّ زَحْزَحْتُهُ عَنِ النَّارِ وأدْخَلْتُهُ الجَنَّةَ، ولا يُبْغضُهُ عَبْدٌ منْ عبادي ويَعْدِلُ عَنْ ولايَته إلا أبْغَضْتُهُ وأدْخَلْتُهُ النَّارَ وبئْسَ المَصيرُ(٢٩٤).

هوامش كتاب
حقيقة الامامة في مدرسة العرفاء

(١) الكافي، ج ٢. ص ١٨٧ ـ الآية في سورة الجمعة/٤.
(٢) جامع الأسرار. صفحة ١٤٤. الروم.
(٣) البحار ـ ج ٢٥. ص ٢٢. عوالي اللئالي ج ٤. ص ٩٩.
(٤) عوالي اللئالي، ج ٤. ص ١٢١.
(٥) جزء من الحديث المشهور «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».
(٦) عوالي اللئالي.
(٧) الجامع الصغير، ج ٢. ص ١٧١.
(٨) عوالي اللئالي، ج ٤. ص ١٢٤.
(٩) جامع الأسرار. ص ٣٨٢.
(١٠) عوالي اللئالي، ج ٤. ص ١٢٤.
(١١) البقرة. ١٧٧.
(١٢) الأعراف. ١٧٢.
(١٣) الفردوس، ج ٣. ص ٣٥٤.
(١٤) تأويل الآيات ص ٤٠٦. الأمالي للمفيد. المجلس الأول، ص ٦.
(١٥) مسند أحمد. ج ١. ص ٢٨١ و ٢٩٥. الأمالي للصدوق.
(١٦)(١٧) عوالي اللئالي، ج ٤. ص ٨٦ و ١٢٢.
(١٨) بحار الأنوار. ج ٢٥. الباب الأول.
(١٩) بحار الأنوار. ج ٣٨. الباب ٧٦.
(٢٠) عوالي اللئالي، ج ٤. ص ٩٨.
(٢١) عيون الأخبار، للرضا. ج ١. ص ٢١٩. الباب ٢٠.
(٢٢) الفتوحات المكية، ج ٢. ص ٤٩.
(٢٣) النور. آية ٣٥.
(٢٤) الفتوحات المكية، ج ١. ص ١١٧ و ١١٩.
(٢٥) عوالي اللئالي، ج ٤. ص ١٢٤.
(٢٦) مستدرك سفينة البحار، ج ٥. ص ٣٣٧، ٣٣٨.
(٢٧) الكافي، ج ١. ص ١٤٥ و ١٩٢.

(٢٨) المجلى ص ٣٧٣، البحار، ج ٣٩، ص ٣٤٢.
(٢٩) عيون الأخبار للرضا ـ ج ٢، ص ٧٣.
(٣٠) البحار، ج ٣٥، ص ١١ و ١٤ ـ ١٠١ و ١٠٤، و ج ٣٨، ص ١٢٥.
(٣١) الكافي، ج ١، ص ٤١٢، والآية في سورة الشعراء، ص ١٩٣.
(٣٢) الكافي، ج ١، ص ٤٢٦ و ٤٣٧ ـ والآية في سورة الأعراف ٤٤.
(٣٣)تأويل الآيات، ص ٨٥، الكافي، ج ٢، ص ٤٢٢، والآية في سورة البقرة، ١٣٨.
(٣٤) الكافي، ج ١، ص ١٩١، والآية في سورة البقرة، ١٤٣.
(٣٥) شواهد التنزيل، ج ١، ص ٩٢.
(٣٦) تأويل الآيات، ص ٩٩، والآية في سورة البقرة، ٢٠٨.
(٣٧) تأويل الآيات، ص ١٢١، والآية في سورة آل عمران، ٨١.
(٣٨) تأويل الآيات، ص ١٢١ ـ ١٢٢.
(٣٩) تأويل الآيات، ص ١٦٠، الكافي، ج ١، ص ٤٢٣، والآية في سورة المائدة ٦٦.
(٤٠) الكافي، ج ١، ص ٤٣٧.
(٤١) تأويل الآيات، ص ١٨٣، الكافي، ج ١، ص ٢١٧، والآية في سورة الأعراف، ٦٩.
(٤٢) تأويل الآيات، ص ١٩٦، والآية في سورة الأنفال، ٢٤.
(٤٣) تأويل الآيات، ص ١٩٦و ١٩٨.
(٤٤) تأويل الآيات، ص ١٩٨، شواهد التنزيل ج ١، ص ٢٠٦.
(٤٥) تأويل الآيات، ص ٢١٧، الكافي، ج ١، ص ٤٢٢، والآية في سورة يونس، ٢.
(٤٦) تأويل الآيات، ص ٢٢٠، الآية في سورة يونس، ٢٥.
(٤٧) شواهد التنزيل، ج ١، ص ٣٠١، الآية في سورة الرعد، ٧.
(٤٨) تأويل الآيات، ص ٢٨٤، الآية في سورة الإسراء، ٨٩.
(٤٩) تأويل الآيات، ص ٢٩٦، الآية في سورة مريم، ٥٠.
(٥٠) تأويل الآيات، ص ٢٩٨، الآية في سورة مريم، ٥٨.
(٥١) تأويل الآيات، ص ٣١٣.
(٥٢) تأويل الآيات، ٣١٦، الآية في سورة طه ١٢٤.
(٥٣) تأويل الآيات، ص ٤٢٧، الآية في سورة الروم، ٣٠.
(٥٤) تأويل الآيات، ص ٤٦٠، الآية في سورة الأحزاب ٧٢.
(٥٥) الكافي، ج ١، ص ٤١٣.
(٥٦) تأويل الآيات، ص ٤٦٧، الآية في سورة سبأ ٤٦.
(٥٧) تأويل الآيات، ص ٤٦٧، الآية في سورة يس، ٧.
(٥٨) تأويل الآيات، ص ٤٨٣، الآية في سورة الصافات، ٢٤.
(٥٩) تأويل الآيات، ص ٤٨٤.
(٦٠) تأويل الآيات، ص ٥٤٥، الآية في سورة الزخرف، ٤٤.
(٦١) تأويل الآيات، ص ٥٤٨.
(٦٢) تأويل الكتاب، ص ٥٤٨، الكافي ج ١، ص ٤٣٧.
(٦٣) الكافي، ج ١، ص ٤٣٧.
(٦٤) مشارق الأنوار، ص ١٧٢.
(٦٥) عيون الأخبار، للرضا، ج ٢، ص ٤٩.
(٦٦) تأويل الآيات، ص ٦٨١.

(٦٧) عوالي اللئالي، ج ٤، ص ١٢٢.
(٦٨) الأعراف، ١٧٢.
(٦٩) تأويل الآيات، ص ٦٢٩، الأمالي للطوسي، ج ١، ص ٢٣٨.
(٧٠) الحديد، ٢٨.
(٧١) تأويل الآيات، ص ٦٤٣.
(٧٢) تأويل الآيات، ص ٦٧١، الكافي، ج ١، ص ٤١٣، الآية في سورة التغابن، ٢.
(٧٣) تأويل الآيات، ص ٧٠٣ و ٧٠٤، الآية في سورة الجن، ١٦.
(٧٤) تأويل الآيات، ص ٧٦٠، الكافي ج ١، ص ٤١٨، الآية في سورة الأعلى، ١٦ ـ ١٩.
(٧٥) سورة الجمعة ٤.
(٧٦) جامع الأخبار، ص ١١٨، الكافي، ج ٦، ص ٢.
(٧٧) صحيح البخاري، ج ١، ص ١٤٥.
(٧٨) الأنبياء، ١٠٧.
(٧٩) الأنبياء، ٣٠.
(٨٠) هود، ٧.
(٨١) الدهر، ٦ و ٥.
(٨٢) الكوثر، ١.
(٨٣) المجلي لابن أبي جمهور، ص ١٦٩.
(٨٤) تفسير الصافي، ص ٢٠، ذيل الآية ٦ من سورة الحمد والآية في سورة آل عمران ٢٨.
(٨٥) آل عمران، ١٠٣.
(٨٦) تأويل الآيات، ص ١٢٣، الغيبة للنعماني ص ٤١.
(٨٧) المناقب للخوارزمي، ص ٢، الأمالي للصدوق المجلس ٢٨، ص ١٢٢.
(٨٨) بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ١٩٩.
(٨٩) تفسير الإمام، ص ١٤٩.
(٩٠) الأمالي للصدوق، مجلس ٥١، ص ٢٨٠.
(٩١) الأمالي للصدوق، مجلس ٥٥، ص ٣١٠.
(٩٢) مستطرفات السرائر، ص ٥٨.
(٩٣) الكافي، ج ١، ٣٦١.
(٩٤) البحار، ج ٤٠، ص ١٢٧.
(٩٥) جامع الأسرار، ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨.
(٩٦) أمل الأمل ـ ج ٢، ص ١٣١.
(٩٧) تأويل الآيات، ص ٨٠، الآية ٧٤، من سورة البقرة.
(٩٨) البحار، ج ٢٨، ص ٦.
(٩٩) التوحيد للصدوق، ص ١٧٣ ـ ١٧٥.
(١٠٠) البحار، ج ٢٥، ص ٣٥٢ ـ ٣٦٣.
(١٠١) اللوامع لصاحب قرانيه، ج ٢، ص ٣٧٠.
(١٠٢) الكافي، ج ١، ص ١٧٤.
(١٠٣) الكافي، ج ١، ص ١٧٥.
(١٠٤) عيون الأخبار، ص ٢١٧.
(١٠٥) الكافي، ج ١، ص ١٨٥، الآية في سورة البقرة ٢٦٩.

(١٠٦) تأويل الآيات، ص ٤٣٢.
(١٠٧) البقرة، ٣٧.
(١٠٨) المجلي، ص ٤٠٢.
(١٠٩) جامع الأسرار، ص ٣٨٢، ٤٠١.
(١١٠) بحار الأنوار، ج ٢٨، باب ٧٦.
(١١١) نفس المصدر.
(١١٢) البحار، ج ٢٠، ص ٧٣.
(١١٣) نهج البلاغة، خطبة ١٨٠.
(١١٤) هذه الفقرات من خطبة البيان، ص ٦٢٧.
(١١٥) الحديد، ٣.
(١١٦) المجلي، ص ٤٧١، منقول عن الفتوحات المكية.
(١١٧) عوالي اللئالي، ج ٤، ص ٧.
(١١٨) بصائر الدرجات، ص ٢١، الكافي، ج ١، ص ٤٠١.
(١١٩) الخرائج، ج ٢، ص ٧٩٣.
(١٢٠) مشارق الأنوار، ص ٤٧.
(١٢١) بصائر الدرجات.
(١٢٢) البحار، ج ٢، ص ١٨٦.
(١٢٣) علل الشرائع، ج ٢، ص ٣٩٥، الباب ١٣٢.
(١٢٤) الكافي، ج ١، ص ٤٠٢.
(١٢٥) الفرائج، ج ٢، ص ٧٩٢.
(١٢٦) الفرائج، ج ٢، ص ٢٩٥.
(١٢٧) نفس المصدر، ص ٨٠.
(١٢٨) عيون الأخبار، للرضا ـ ج ١، ص ٢٩٥.
(١٢٩) عيون الأخبار، ج ٢، ص ١٣.
(١٣٠) عيون الأخبار، ص ٥٨.
(١٣١) عيون الأخبار، ص ١٣٦.
(١٣٢) الكافي، ج ١، ص ٦١، والآية في سورة النحل ٨٩.
(١٣٣) الكافي، ج ١، ص ٦١.
(١٣٤) الكافي، ج ١، ص ١٤٨.
(١٣٥) الرعد، ٣١.
(١٣٦) النمل، ٧٥.
(١٣٧) فاطر، ٣٢.
(١٣٨) الكافي، ج ١، ص ٢٢٦.
(١٣٩) الكافي، ج ١، ص ٢٢٤.
(١٤٠) (١٤١) الكافي، ج ١، ص ٢٢٥ و ٢٢٤.
(١٤٢) بصائر الدرجات، ١٩٩ ـ ٢٠١. الكافي، ج ١، ص ١٩٧، ١٩٦، ١٩٨.
(١٤٣) تأويل الآيات، ص ٤٧٧، والآية في سورة يس، ١٢.
(١٤٤) تأويل الآيات، ص ٤٨٠.
(١٤٥) بصائر الدرجات، ص ٩٩، الكافي، ج ١، ص ١٩٨.

(١٤٦) الكافي، ج ١، ص ٢٣٩، ٢٤٠.
(١٤٧) البحار، ج ٢٦، ص ١ ـ ٧.
(١٤٨) تأويل الآيات، ص ٤٧٨.
(١٤٩) تأويل الآيات، ص ١٨٥، الكافي، ج ١، ص ٤٢٩، والآية في سورة الأعراف، ١٥٦.
(١٥٠) النحل، ٨٩.
(١٥١) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٧.
(١٥٢) الكافي، ج ١، ص ١٩٧ و ١٩٨.
(١٥٣) نهج البلاغة أواخر الخطبة المعروفة بالقاصعة.
(١٥٤) البحار، ج ٣٩، ص ٩٨.
(١٥٥) المناقب للخوارزمي، ص ٣٧، «المجلي» ص ٤٠١.
(١٥٦) الجامع الصغير، ج ٢، ص ١٣١.
(١٥٧) بصائر الدرجات، ص ١١٢.
(١٥٨) الكافي، ج ١، ص ٦.
(١٥٩) الكافي، ج ١، ص ٤٥٦.
(١٦٠) بصائر الدرجات، ص ٢٠١.
(١٦١) الكافي، ج ١، ص ٢٣٠.
(١٦٢) الكافي، ج ١، ص ٢٣٠، بصائر الدرجات، ص ٢٠٨.
(١٦٣) إرشاد القلوب، ص ٤١٦.
(١٦٤) إرشاد القلوب، ج ٢، ص ٤١٩.
(١٦٥)
(١٦٦) النحل، ٢٠.
(١٦٧) الرعد، ٤٣.
(١٦٨) الكافي، ج ١، ص ٢٥٧ و ٢٦١.
(١٦٩) الكافي، ج ١، ص ٢٥٧ و ٢٦١.
(١٧٠) الكافي، ج ١، ص ٢٦١، والآية في سورة النحل ٨٩. الزخرف ٤
(١٧١) الزخرف، ٤.
(١٧٢) الأحزاب، ٣٣.
(١٧٣) في المصدر: سمعت الرضا (ع) وهو يقول: قال أبي (ع)....
(١٧٤) تمام الأحاديث مذكورة في تأويل الآيات، ص ٥٢٧ ـ ٥٣٨.
(١٧٥) الدخان، ١ ـ ٤.
(١٧٦) تأويل الآيات، ص ٥٥٥، الكافي، ج ١، ص ٤٧٩.
(١٧٧) ذخائر العقبى، ص ٨٧.
(١٧٨) مناقب الخوارزمي، ص ٤٠.
(١٧٩) الكافي، ج ١، ص ١٩٢.
(١٨٠) تأويل الآيات، ص ٦١١.
(١٨١) النحل، ٨٩.
(١٨٢) تأويل الآيات، ص ٦١١ و ٦١٢، تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٦٦.
(١٨٣) تأويل الآيات، ص ٦٨٥، والآية في سورة «ن» ١.
(١٨٤) بصائر الدرجات، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(١٨٥) بصائر الدرجات، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠.
(١٨٦) الأعراف، ١٤٥.
(١٨٧) الزخرف، ٦٣.
(١٨٨) النحل، ٨٩.
(١٨٩) بصائر الدرجات، ص ٢٢٧. (بدون لفظ علماً).
(١٩٠) بصائر الدرجات، ص ٢٨٨.
(١٩١) حلية الأولياء، ج ١، ص ٦٥.
(١٩٢) الكافي، ج ١، ص ٢٩٧.
(١٩٣) الكافي، ج ١، ص ٢٩٧.
(١٩٤) رسائل الشريف المرتضى، ج ٣، ص ١٣٣.
(١٩٥) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٩٩ ـ تأويل الآيات، ص ١١٠.
(١٩٦) الكافي، ج ٣، ص ١٢٨، ١٣٥. البحار، ج ٦، ص ١٧٣ ـ ٢٠٢.
(١٩٧) أمالي المفيد، المجلس الأول.
(١٩٨) الزمر، ٦٩.
(١٩٩) والرب ظ، وفي الحديث «رب الأرض يعني إمام الأرض» ـ تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٥٣.
(٢٠٠) النور، ٣٥.
(٢٠١) مستدرك سفينة البحار، ج ٦، ص ٢٢. بنقل عن مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني، ص ١٥٨.
(٢٠٢) تفسير القمي، ج ٢، ص ٦، النوادر، للفيض، ص ٣١١.
(٢٠٣) عيون أخبار الرضا (ع) ج ٢، ص ٣٢.
(٢٠٤) عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢، ص ٣٢.
(٢٠٥) النحل، ٤٠.
(٢٠٦) الخرائج، ج ١، ص ١٧ و ١٨.
(٢٠٧) الخرائج، ج ١، ص ٢٩٤ و ٢٩٥.
(٢٠٨) عين الحياة، ص ١٢٥.
(٢٠٩) الخرائج، ج ٢، ص ٧٣٥.
(٢١٠) البحار، ج ٢٥، ص ٢٧٠.
(٢١١) الخرائج، ج ١، ص ٣٤٩ و ٣٥٠.
(٢١٢) بصائر الدرجات، ص ٥٠.
(٢١٣) بصائر الدرجات، ص ٢٣٦.
(٢١٤) الخصال، ص ٦١٤، الحديث ٤٠٠.
(٢١٥) الغيبة، (للشيخ الطوسي) ص ١٧٢.
(٢١٦) نهج البلاغة، الرسالة ٢٨.
(٢١٧) الشورى، ١١.
(٢١٨) نهج البلاغة، الخطبة ٦٣.
(٢١٩) مقتبس من حديث استحباب النوافل، صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٣١.
(٢٢٠) شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين (ع) (لابن ميثم)، الكلمة السادسة.
(٢٢١) كفاية الأثر، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦.
(٢٢٢) الكافي، ج ١، ص ١٤٣.
(٢٢٣) اللوامع النورانية للسيد هاشم البحراني، ص ١٢٥، بنقل عن الحافظ الرسي في مشارق

انوار اليقين.

(٢٢٤) الكافي، ج ١، ص ١٤٣، والآية في سورة القصص، ٨٨.

(٢٢٥) الكافي، ج ١، ص ١٤٤.

(٢٢٦) الرحمن ٢٦ و ٢٧.

(٢٢٧) عيون أخبار الرضا (ع) ص ١١٥ ـ والآية في سورة القصص، ٨٨.

(٢٢٨) البحار، ج ٢٧، ص ٣٣ و ٤٠.

(٢٢٩) منقول عن مشارق أنوار اليقين، ص ١١٤.

(٢٣٠) عوالي اللئالي، ج ١، ص ٤٣٦. الكافي، ج ٢، ص ١٨٠.

(٢٣١) الأنعام، ١١٥.

(٢٣٢) المنافقون، ٨.

(٢٣٣) القصص، ٥٠.

(٢٣٤) ال عمران، ٣٤.

(٢٣٥) ابراهيم، ٣٦.

(٢٣٦) مشارق أنوار اليقين، ص ١١٤ ـ ١١٧. البحار ج ٢٥، ص ١٦٩ ـ ١٧٤.

(٢٣٧) منهاج الكرامة، ص ٢٢.

(٢٣٨) البروج، ٢٠.

(٢٣٩) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢١ ـ ٢٢. بنقل عن رياض الجنان.

(٢٤٠) مشارق أنوار اليقين، ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٢٤١) البحار، ج ٥٧، ص ١٧٠.

(٢٤٢) مشارق انوار اليقين، ص ٣١.

(٢٤٣) البحار، ج ٥٧، ص ١٩٢، تاويل الآيات، ص ١٤٤.

(٢٤٤) الشعراء، ٢١٩.

(٢٤٥) الأنعام، ٩.

(٢٤٦) تاويل الآيات، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٥، الآية في سورة النبأ، ص ٢٣.

(٢٤٧) امالي الطوسي، ج ١، ص ٣١١.

(٢٤٨) الصف، ٩.

(٢٤٩) الدر المنثور، ج ١، ص ٥.

(٢٥٠) الكهف، ١١٠.

(٢٥١) الجن، ١٩.

(٢٥٢) الأنفال، ١٧.

(٢٥٣) جامع الأسرار، ص ٤٢٠.

(٢٥٤) الحشر، ٧.

(٢٥٥) الحشر، ٧.

(٢٥٦) الرعد، ١٦.

(٢٥٧) عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢، ص ٢٠٢، والآية في سورة الروم ٤٠.

(٢٥٨) عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢، ص ٢٠٣.

(٢٥٩) الكافي، ج ١، ص ٢٦٧، والآية في سورة الحشر ٧.

(٢٦٠) القلم، ٤.

(٢٦١) الكافي، ج ١، ص ٢٦٧.

(٢٦٢) الكافي، ج ١، ص ٢٦٧.
(٢٦٣) الكافي، ج ١، ص ٢٦٨.
(٢٦٤) الكافي، ج ١، ص ٢٦٨.
(٢٦٥) النوادر (للفيض) ص ١٣٦ ـ ١٣٧. عيون أخبار الرضا (ع) ج ٢، ص ٢٠٣.
(٢٦٦) الغيبة، ص ٢٣٨.
(٢٦٧) الخرائج، ج ٢، ص ٨٥.
(٢٦٨) الكافي، ج ١، ص ٤٤١.
(٢٦٩) الحجر، ٧٥.
(٢٧٠) الحجر، ٧٦.
(٢٧١) الروم، ٢٢.
(٢٧٢) الكافي، ج ١، ص ٤٣٨.
(٢٧٣) الحشر، ٧.
(٢٧٤) بصائر الدرجات، ص ٣٨٣ و ٣٨٦.
(٢٧٥) بصائر الدرجات، ص ٣٨٣ و ٣٨٦.
(٢٧٦) الإرشاد للديلمي، ص ٢٣٥.
(٢٧٧) بصائر الدرجات، ص ٤١٤.
(٢٧٨) بصائر الدرجات، ص ٢١٦، تأويل الآيات، ص ١٥٢.
(٢٧٩) القيامة، ٢٢ ـ ٢٣.
(٢٨٠) تأويل الآيات، ص ٧١٦، والآية في سورة الصافات، ٦١.
(٢٨١) الأعراف، ٤٦.
(٢٨٢) تأويل الآيات، ص ١٨٢، الكافي، ج ١، ص ١٨٤.
(٢٨٣) تأويل الآيات، ص ١٨٠، والآية في سورة الأعراف، ٤٤.
(٢٨٤) علل الشرائع، باب ١٣٠، ص ١٦٢.
(٢٨٥) الأمالي للصدوق، مجلس ٩٥، ص ٥٩٨.
(٢٨٦) الإرشاد للديلمي، ص ٢٢٦.
(٢٨٧) الأمالي للطوسي، ج ١، ص ٢٠٩.
(٢٨٨) الإرشاد للديلمي، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦. الأمالي للمفيد، ص ٢٨٥. والآية في سورة البقرة ١٦٦.
(٢٨٩) علل الشرائع، ص ١٦٤.
(٢٩٠) علل الشرائع، ص ١٦٢.
(٢٩١) مستطرفات السرائر، ص ٥٨.
(٢٩٢) الكافي، ج ١، ص ٤٣٧.
(٢٩٣) الأمالي للصدوق، مجلس ٥٠، ص ٢٧٢.
(٢٩٤) الأمالي للصدوق، مجلس ٣٩، ص ١٩٦ و ١٩٧.